الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique Et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف. ميلة

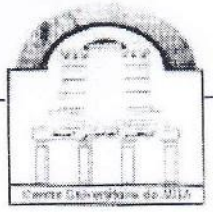

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع : ....

3614
800/1271/1

البناء البلاغي لقصص القرآن

"سورة الأعراف أنموذجا"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

إعداد الطالبتين:

- فوزية ولطاش
- نور الهدى سقاني

إشراف الأستاذ:

سليم مزهود

السنة الجامعية: 2016/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمــة شكــر

مكر لله الذي يقول:

﴿إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ 22 سورة الإنسان.

- لابد ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الجامعة من وقفة نعود بها إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين جهودا كبيرة في بناء جيل لتنبعث من خلاله الأمة من جديد. نتقدم نحن أعضاء البحث إلى كل من سهر على إنجازه بأسمى آيات الشكر و العرفان وكذا كل الأشخاص الذين ساعدونا ماديا ومعنويا على أن يتم هذا البحث في أجله المحدد.

ونخص بالذكر أستاذنا المشرف "**سليم مزهود**" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه الهادفة،فقد كان لنا نعم الموجه والمرشد إذ لاقانا برعاية الآباء و تواضع العلماء مستحقا منا أسمى معاني التقدير و المحبة مع تمنياتنا له بالسعادة و الهناء، كما لا ننسى جميع الأساتذة في قسم اللغة العربية وآدابها وكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إثراء هذا البحث.

إهداء

إلى كل من جلت صفاته ... و عمت أسماؤه...خلق الأكوان...صور ما في الأرحام...قدر الأزمان...رزق الآنام.. **سبحانه ذو الجلال و الإكرام** له جل الشكر و العرفان.

إلى من بلغ الرسالة..و أدى الأمانة.. ونصح الأمة...خير الأنام.. **نبي الله و رسولنا الكريم** عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

إلى من ***أوصانا الله بهما خيرا***...و كانا لي دائما العون

إلى قرة العين ***أمي"فريدة" وأبي"جمال"*** حفظهما الله و جزاهما خيرا.

إلى من له يبخل علي بما هو اعز من كنوز الدنيا،الدعوة الصالحة ... إلى **جدي رابح رحمه الله**

إلى سندي في الحياة... و ذخيرتي حتى الممات .. إلى**إخوتي** :

محمد الطاهر،نداج وصابر، صبرينة ونصرو،نجيب ورانيا، شهيلة وأسامة.

و إلى أولاد إخوتي : **شهاب، رنيم، ليليان، تيمو، أنفال رحمها الله.**

إلى كل من حمل أقدس رسالة في الحياة، و مهد لي طريق العلم و المعرفة

إلى كل من علمني حرفا صرت له عبدا

إلى جميع الأساتذة الأفاضل بالمركز الجامعي-ميلة- و اخص بالذكر

أستاذي الغالي ***" سليم مزهود"***

إلى كل طلبة السنة النهائية،و اخص بالذكر طلبة قسم اللغة العربية دفعة 2016،

وخاصة زميلاتي: إيمان ^{2}، صونيا، إلهام، سعيدة، ريمة، صبرينة، أسماء، هدى، ثينة.

و إلى كل أفراد العائلة الكبيرة والأحبة :

عمي نورالدين...عمي مراد..طاطا فوزية..عبدو..جدتي أطال الله في عمرها.

إلى كل من كان له يد عون في انجاز هذا العمل و لو بكلمة طيبة.

شكرا

فوزية

الإهداء

- إلى والدي ا لغالي حفظه الله
- إلى جنة الأرض و حبيبة القلب. أمي حفظها الله
- إلى أحبائي الذين شاركوني الحياة إخوتي.السبتي

،ايمن، هديل، ادم، شهد.

أهدي هذه الدراسة .

نور الهدى

مقدمة

ليس هناك شك في أن القرآن الكريم عقيدة أنزله الله على نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للناس وهداية لهم ومنهاجا لحياتهم ، فيه نفعهم وصلاحهم وفيه وسائل تعليمهم فنون القول على اختلاف أنواعه وألوانه ،ومن بينها القصة التي تعد أهم الوسائل في تبليغ الدعوة الإسلامية هذه القصة الواردة في القرآن الكريم تعددت حولها المفاهيم والرؤى حيث هناك من حاول أن يسقط عليها المعايير والنظريات النقدية عند دراسة بنائها الفني. وقد سارت الدراسات الموضوعية في القصة القرآنية في اتجاهات شتى، ودرسها عدد كبير من الباحثين والأدباء المسلمين وكان لكل منهم فهمه وطريقته وروافده التي اعتمد عليها

وفي هذا العرض البسيط سنتوقف عند نقاط مهمة تخص القصة القرآنية التي هي نموذج فريد من نوعه والتي لا ترقى إلى مستواها القصة الفنية التي يجتهد الأدباء في تدبيجها للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم لا لشيء سوى أن القصة القرآنية هي من كلام الله الذي هو في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة وهي تخلو من الغلو والمبالغة ومن الخيال والتصنع والتكلف

فالقصة القرآنية ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وسير أحداثه كما هي الحال في القصص الفني، إنما القصة فيها وسيلة من الوسائل الكثيرة التي استخدمها لغرضه الأصيل وهو التشريع وبناء الفرد والمجتمع، وإن القصة التي ترد فيه لا تختلف في غايتها عن المثل الذي يضربه للناس.

والقصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمان، أي وثيقة تاريخية من أوثق مابين يدي التاريخ من وثائق بما يشكل واقعية القصص القرآني، جاء بها من بطن الغيب ليحقق بها صدق الرواية ويعارض بها روايات العبرانيين وأهل الكتب، ويقص ما كان من أقوام مضت من مواقف إزاء الرسل والدعوة إلى الإيمان، فبنيت بناءا محكما من لبنات الحقيقة المطلقة: (نحنُ نقصُّ عليك أحسنَ القَصَص) (يوسف.آية:103)

واختيار هذا الموضوع حقيقة هو من طرح الأستاذ المشرف على هذا العمل الذي كان له الفضل بعد الله سبحانه و تعالى في طرح هذا الموضوع بين أيدينا فهو الذي أرشدنا إلى مادة هذا البحث وأمدنا ببعض مصادرها ومراجعها وأحالنا إلى بعضها الأخر فله منا الشكر ومن الله الأجر والمثوبة. والإشكال الذي يطرح نفسه في هذا الموضوع كيف يتجسد البناء

البلاغي في القصص؟ والى آي مدى يظهر هذا التجسد؟ وهل القصص القرآني تنفرد عن غيره من القصص في بناءه البلاغي؟ أليست للقصص القرآني بناء بلاغي خاص.

ألا يزخر قصص القرآن بأغراض ومقاصد مختلفة.

ألا يتنوع البناء البلاغي للقصص القرآني بتنوع القصة. وقد قام هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب ومثل هذه الدراسات.

ولقد حاولنا من خلال هذا البحث أن نتناول القصة القرآنية من خلال فصلين، الفصل الأول وتناولنا ثلاثة مباحث: المبحث الأول وفيه عرضنا مفهوم القصة لغة واصطلاحا، أما المبحث الثاني فخصصناه للبنية القصصية في القرآن الكريم .والمبحث الثالث جمعنا فيه المعنى والقيم في فن القصصي من حيث المعاني والقيم التاريخية والاجتماعية والدينية.

أما الفصل الثاني فكان للبناء البلاغي للقصص في سورة الأعراف من خلال مبحثين:

المبحث الأول التكوين البلاغي للسورة بالوقوف عند مقاصد السورة وبلاغتها

أما المبحث الثاني فكان للبناء البلاغي للقصص، من خلال قصص الأنبياء مع قومهم (نوح،هود،لوط، شعيب، موسى) عليهم السلام.

ولا ننكر أن هنا كأبحاث تناولت هذا الموضوع ومن المصادر والمراجع التحرير والتنوير والبحر المحيط والتفسير البيضاوي.

ومن الصعوبات التي وجهتنا هي عدم تمكننا من استعمال الحاسب الآلي

وفي الأخير نرجو أن نكون في المستوى، ويروق القارئ بدءا من أستاذنا المشرف سليم مزهود، وله جزيل الشكر، ونأمل أن يكون بحثنا هذا طريقا ممهدا لبحوث لاحقة وحسبنا أن نقول إننا اجتهدنا فإن أصبنا فذلك توفيق من الله وإن فشلنا فعزاؤنا أننا حاولنا.

الفصل الأول:

مفهوم القصة القرآنية

- **المبحث الأول؛ مفهوم القصة:**

1. تعريف القصة
2. تعريف القصة اصطلاحا

- **المبحث الثاني: البنية القصصية في القرآن الكريم**
- **المبحث الثالث: المعنى والقيم في فن القصصي.**

1. المعاني والقيم التاريخية
2. المعاني والقيم الاجتماعية
3. المعاني والقيم الخلقية
4. المعاني والقيم الدينية

• المبحث الأول؛ مفهوم القصة:

• أولا تعريف القصة:

1- القصص لغة:

لا يبتعد معنى القص عن التتبع والتقصي، سواء ما تعلق الأمر بتتابع الأثر المادي أو الأحداث القصة أثناء الحكي.

جاء في تاج العروس: "قص عليه الخبر قصا، أعلمه به وأخبره، ومنه قص الرؤيا. قص أثره: أي تتبعه، وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره، يقال أقصها قصا، وقوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:64]؛ أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف:3]؛ أي نبين لك أحسن البيان، وقال بعضهم القص: البيان، والقصص الاسم، والقاص من يأتي بالقصة على وجهها كأنه تتبع معانيها وألفاظها، ومنهم قولهم: "القاس ينتظر المقت؛ والمستمع إليه ينتظر الرحمة"، وكأنه لما يعترض في قصصه من الزيادة والنقصان، وقيل: القاص من يقص القصص لأتباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا"[1].

"والقص: فعل القاص إذا قصص ويقال في رأسه قصة: يعني الجملة من الكلام"[2].

إذن؛ فالقصة مفردة، والقصص: جمع وهي المصدر، والقاص: اسم فاعل وهو الذي يقوم بفعل القص والقصاص: صيغة مبالغة؛ أي كأن القيام بفعل القص هو الإتيان على القصة بمختلف جوانبها، والإلمام بها.

2-ثانيا؛ القصص اصطلاحا:

يتناول التعريف الاصطلاحي للقصص كتب النقاد والمهتمين بشأن القصة بإسهاب وتفصيل، لتعدد المدارس من جهة، وخصوصية القصص القرآني من جهة أخرى. فالدكتور فضل عباس يرى أنَّ "القصة هي وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة، أو عددًا من الحوادث بينها ترابط سردي، ويجب أن تكون لها بداية ونهاية.

---

(1) الزبيدي: تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، دت، مادة، ق.ص.ص، ج:3، ص:433 .

وتنقسم القصة إلى قسمين هما:

- القصة الواقعية: تتبع المدرسة الواقعية.
- القصة الخيالية: تتبع المدرسة الخيالية أو الشاعرية كما يسميها بعض أنصار هذا الفن.

لكن التعرض للقصص القرآني من حيث هذا التصنيف إلى قصة خيالية وقصة واقعية يعتبر تجاوزا عما في هذا القصص من إعجاز زمني، لأنها جمعت في روعة بين الحقيقة والخيال وبأسلوب لم ولن يكون له مثيل، هذا ما يسمى بالأسلوب الرومانتيكي في قصص القرآن، وهو أنه مع واقعية هذا القصص فإن أسلوبها المعجز أسبغ عليها من روعة التشبيهات ما جعلها فريدة في نوعها من حيث الجمع بين الخيالية والواقعية"[1]

أما الدكتور شوقي ضيف فيقول: "القصة سلسلة أو سلاسل من الوقائع، سلاسل تلتقي لتكون عملا قصصيا طويلا، لا يُكْتَفَى فيه بجزء من الأجزاء، فهي ليست نبذة، إنما هي كل كبير، إنها نهر زاخر فياض بالحياة واسع الرحاب والآفاق، يتدفق القاص فيه كما يريد من غير انقطاع، حتى يصل إلى نهاية قصته، وتتجلى وحدة الأحداث بينة واضحة، والقصة تسمو كلما تغلغلت في دراسة الإنسان وواقعه، وأكثرت من عرض دخائله ودخائل الحياة؛ إنها تنقل لنا الحياة بأكملها بجليلها وتافهها وحوادثها الصغيرة والكبيرة، لا فرق فى أشياء مهمة مثيرة، وكلمة بين تافه وغير تافه، فكلها تتحول في مخيلة القاص البارع إلى الأسلوب القصصي لها معنيان: معنى عام يشمل بناء القصة كله لجميع مواده وعناصره، ومعنى خاص يقف عند التعبير، ووسائله اللغوية وخصائصه اللفظية"[2]

كما يعرف أحمد الهاشمي صاحب جواهر الأدب القصص قائلا: "القصص معرفة أحوال السابقين، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة، ووقائع أيامهم المشهورة، كقصة الفيل وحرب البسوس وحرب الفجار، فالقصة قاموس تقرأ منه أحوال الأمة، اهتماماتها، توجهاتها، عقائدها، حياتها الاجتماعية، ووضعها الاقتصادي والنفسي، إذ إن هذه الجوانب مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا"[3]

---

(1) عباس سناء فضل: إعجاز القرآن الكريم، ط:1، دت، ص: 24.

(2) شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار الفكر، بيروت، ط1 ، دت، ص: 225 .

(3) أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، دار الفكر، بيروت، د ت ، ج:2، ص:22

من التعاريف السابقة نستنتج أن القصة بأنواعها كل متكامل من الأحداث المليئة بالحركة، القادرة على نقل حياة الأمم السابقة بكل تجلياتها لتكون عبرة للمتأخرين زمنيا عنها بأسلوب فني يجعل المتلقي يعيش أحداث القصة كأنه أحد شخوصها.

المبحث الثاني؛ البنية القصصية في القرآن الكريم:

يمكن التمييز بين شكلين للبنية القصصية في الخطاب القرآني:

- **الشكل الأول؛ القصة المغلقة:**

القصة المغلقة أو المكتملة، يقول الدكتور سليمان عشراتي صاحب كتاب الخطاب القرآني: "القصة المغلقة أو المكتملة؛ ونقصد بها القصة التي استقل بها موطن قرآني واحد في سورة قرآنية فريدة، ولم يتكرر سياقها السردي خارج ذلك الموطن، وقد وردت على هذا الشكل القصصي كل من قصة يوسف، وقصة أصحاب الكهف، وقصة سليمان والملكة بلقيس، وغيرها من القصص التي أخذت إطارا مثليا كقصة صاحب الجنتين... وقد ترد القصة المغلقة ضمن تداع قصصي، تسوقه السورة، من أجل إنجاز فاعلية تبليغية، تستمد من إيحاءاتها طاقة تأثيرية، من ذلك ما ورد في سورة الكهف من قصص وقصة صاحب الجنتين) من الآية – مغلقة، تمثلها قصة أصحاب الكهف (من الآية 9–25) فهذه القصص المتلاحقة جميعا قصص 32–44 – وقصة ذي القرنين) من الآية 83 مكتملة، مغلقة، لم نلف لها حضورا استدعائيا في سياق قرآني آخر، باستثناء قصة موسى والعبد الصالح، التي هي قصة مفتوحة لأنها تفيدنا بجانب آخر من جوانب سيرة موسى ووقائع حياته"[1]

- **الشكل الثاني؛ القصة المفتوحة:**

يقول الدكتور سليمان عشراتي: "ونقصد بها ذلك السياق السردي المتعلق بسيرة نبي أو رسول، والمتواتر في أكثر من سورة، وبتنويعات إخبارية وسردية تتجدد كثيرا أو قليلا من سياق لآخر، سواء على مستوى الشكل الخطابي أم من حيث الإفادات التي يحملها"[2].

---

(1) سليمان عشراتي: الخطاب القرآني (مقاربة توصيفيه لجمالية السر الإعجازي). ديوان المطوعات الجامعية، الجزائر ط:1، 1998، ص: 69– 70 بتصرف.

(2) المرجع نفسه. ص:70

• المبحث الثالث؛ المعاني والقيم في الفن القصصي:

• القيم التاريخية والاجتماعية والنفسية والدينية في القصص القرآني:

بعد أن فنّد القرآن ادّعاءات اليهود في شأن نبوة محمد وربطها بالغيبيات ومدى إلمامه بها، أشار إلى أن هذه المعجزات كانت سبيلا إلى الإكراه والإلزام، في المقابل ربط القرآن مسألتي الإيمان والكفر بقيم ثابتة نفسية واجتماعية. بالنسبة إلى القيم الاجتماعية، يشير القرآن إلى العوامل المؤثّرة في رقيّ الأمم وحياة الشعوب بحيث جعلها من الثوابت في كلّ العصور، فيشير في سورة البيّنة بالقول: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البيّنة:1-4][1]. أراد القرآن من خلال هذه الآيات تبرير وجود الأنبياء بالنظر إلى حاجات الأمم والجماعات إليهم وإلى الأبطال يقودونهم وينيرون لهم السبيل. كما تشير إلى كون هؤلاء القادة، مهما كانت تسميتهم، يظلون مثار فرقة وانشقاق بالنظر إلى خلافات البشر واستعداداتهم للقبول أو الرفض للمبادئ بين مؤمنين وكافرين استنادا إلى ما يحيط بهم وما يواجههم من عواطف وانفعالات كما تشير هذه الآية: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا﴾ [الإسراء:76-77]. ويشير القرآن إلى ما يعرف من النواميس النفسية المتصلة بالعواطف والإنفعالات المواكبة للسيطرة، وللمبادئ التي تزعزعها الأحداث الجسيمة" وذلك من أمثال العجب الشديد والحرص على المعتقد القديم البادئين في قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ [سورة ص:4-6][2]. ومن الدواعي النفسية مسألة الخوف على المعتقد ودعوة الله إلى التخلص من المعارضين ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ [نوح:26-27].

---

(1) سليمان عشراتي: الخطاب القرآني (مقاربة توصيفيه لجمالية السر الإعجازي). ص: 96

(1) المرجع نفسه. ص: 97

مهما قيل في تعرض القرآن إلى القضايا التاريخية أو إلى المسائل الاجتماعية، فإن الأساس في ما أتى به القرآن وركزت عليه القصص إنما يتصل بالقيم الدينية والأخلاقية؛ التي هي جوهر الدعوة الدينية. فالتدين في القرآن إنما هو غريزة في الإنسان، وهي من القضايا التي يتصف بها الناس جميعا ألمتحضر منهم أو من أهل البادية، فالتدين ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:30].

في هذا المجال يركز القرآن على مسألة التوحيد وعبادة الإله الواحد، وهو أمر دفعه لشن أعنف الحملات على عبادة الأصنام بوصفها العائق الأساسي في وجه الدعوة النبوية يشير في هذا الصدد إلى تنوع عبادة الأصنام بين قوم وقوم فيقول: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف:70-71]، وقال في سورة العنكبوت: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:17].

ويهدف القرآن من هذه الآيات إلى تبيان أن هذه الآلهة من الأصنام لا تفيد الإنسان وأن عبادة الله الواحد هي سبيل خلاصه الوحيد ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:85].

في تطرقه إلى الجوانب الأخلاقية، يعتمد القرآن طرقا متعددة في تصوير الأشياء الخلقية، "فهو مرة يعمد إلى النهي الصريح وذلك في حالات منها أن يكون المنهي عنه من الأمور العادية التي تركزت في البيئة فأصبحت من العادات الاجتماعية المرذولة. ومنها تلك الأمور التي يقوم بها الناس ترضية لعاطفة أو استجابة لرغبة" [1]، ويذكر من ذلك على

---

(1) سليمان عشراتي: الخطاب القرآني (مقاربة توصيفيه لجمالية السر الإعجازي). ص: 142

سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف:85-86]

الفصل الثاني:

البناء البلاغي للقصص في سورة الأعراف

- **المبحث الأول؛ التكوين البلاغي للسورة**

1. مقاصد السورة.
2. بلاغة السورة.

- **المبحث الثاني؛ البناء البلاغي للقصص**

1. قصة نوح مع قومه.
2. قصة هود مع قومه.
3. قصة لوط مع قومه.
4. قصة شعيب مع قومه.
5. قصة موسى مع قومه.

• المبحث الأول؛ التكوين البلاغي للسورة:

1-مقاصد السورة:

محاولة استلال المقاصد والأغراض من سورة من القرآن طريق عسر ملتف؛ لأن المقاصد والأغراض غالبًا ما تكون متشابكة متداخلة، أو متكررة متشابها وإن لم يكن في الحقيقة تشابه أو تكرار إلا لغرض، وهذا من إعجاز الإعجاز.

ولكي نتعرض لمحاولة دراسة السورة لاستلال مقاصدها وأغراضها لابد من النظر في الكتب التي اهتمت بهذا الجانب للاستنارة بها ونبدأ بكتاب (إيجاز البيان في أغراض القرآن) للصابوني، وقد أفرده مؤلفه لدراسة أغراض ومقاصد سور القرآن كله، يقول عنه: (هذه سلسلة علمية متتابعة في دراسة سور القرآن تكشف الأضواء عن أهدافها ومقاصدها وتبين الغرض الأساسي من طريقة تناولها للمواضيع والأحداث، سواء أَكَانَ ذلك في العبادات أم المعاملات أم التشريع أم الأخلاق أم القصص والأخبار...)[1]

وبمراجعته على تفسيره: (أيسر التفاسير) تبين أنه هو هو نفسه الذي جمعه في هذا وجعله منفصلا لهذه الأغراض من كل سورة عن التفسير.

وفي سورة الأعراف أوجز أغراض السورة ومقاصدها الرئيسة دون خوض في تفريعاتها وتشعباتها، بأسلوب السرد المتتبع للمعاني من غير ذكر للروابط والمناسبات التي تربط بين أجزائها، ومن غير إشارة للآيات التي أغفل ذكرها، رغم طول هذا الإغفال أحيانًا.

فهو مثلا بعد تناوله آيات المثل المخزي لعلماء السوء وتعليقه عليها، سكت عن التي بعدها كلها، وهي ثمان وعشرون آية، من قوله تعالى: ﴿مَن يَهدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلمُهتَدِيۖ﴾ إلى ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسجُدُونَ۩﴾، واكتفى بالتعليق على آية واحدة جاءت بينها، وهي قوله تعالى: ﴿ألهم أرجل يمشون بها..﴾، وعلّق عليها بقوله: "وختمت السورة الكريمة بالتهكم بمن عبدوا ما لا يضر ولا ينفع.[2] وساق الآية السابقة.

وربما قصد إدراج معاني تلك الآيات التي سكت عن الحديث عنها وأغراضها تحت تلك الآية، رغم التباين الملحوظ في بعضها.

---

(1) علي الصابوني: إيجاز البيان في أغراض القرآن ص: 30-31.

(2) المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

وأبرز الموضوعات التي استخلصها هي ما يأتي:

- تعرضت السورة في البدء للقرآن العظيم، معجزة محمد صل الله عليه وسلم الخالدة، والدعوة إلى التمسك بتوجيهاته وإرشاداته.

- ثم لفتت السورة إلى نعمة خلقهم من أب واحد آدم، الذي خلقه الله بيده، وأمر الملائكة بالسجود له، وقد ذكر تعالى قصة آدم مع إبليس ثم خروجه من الجنة وهبوطه إلى الأرض ولهذا وجه الله تعالى إلى أبناء آدم النداء بعد أن بين لهم عداوة إبليس، وهي أربعة نداءات متتالية.

- وقد تناولت السورة الكريمة مشهداً حسياً من مشاهد القيامة، تبدو فيه ألوان جديدة من صور المحاورة والمناظرة بين فرقة المؤمنين أهل الجنة، وفرقة الكافرين أهل النار وفرقة أصحاب الأعراف، الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم. وتعود الآيات فتلفت الأنظار إلى بعض الأدلة الكونية في الأنفس والآفاق، وتحذر من الإفساد في الأرض، وتضرب مثلا للنفوس الطيبة والنفوس الخبيثة.

- وتناولت السورة بعد ذلك قصص الأنبياء؛ قصة نوح ثم هود وصالح ولوط وشعيب ثم فصل في قصة موسى عليه السلام لما فيها من العبر والعظات .

- وتناولت السورة علماء السوء، والمثل المخزي لهم.

- وختمت السورة الكريمة بالتهكم بمن عبدوا ما لا يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع من دون الله، واتخذوا الأوثان والأصنام شركاء مع الله.

• هكذا تختم السورة بالدعوة إلى التوحيد كما بدأت بالتوحيد، فكانت دعوة إلى الإيمان في البدء والختام[1].

وفي كتاب (نظرة العجلان في أغراض القرآن) لمحمد بن كمال أحمد الخطيب يبين طريقة في استخراج مقاصد وأغراض سور القرآن، لها نصيب من عنوانه: (نظرة العجلان) وقد صرح بهذا، إذ بين أنه يذكر الأغراض الرئيسة للسورة حين تظهر له دون تفصيلها وارتباطاها بأجزائها[1] رغم أنه بين أن له نظرة تكاملية في معالجة الآيات وأغراضها، وتعلق

---

(1) ينظر: أبو عمرو الداني: إيجاز البيان عن معاني القرآن. ص:28-30 بتصرف.

بعضها ببعض، وتعلق السور بعضها ببعض، وأنه يتمم بعضها بعضًا، مما يكشف وحدة موضوع السورة بتلاحم وتسلسل أغراضها في آياتها وتناسب جزيئات تلك الآيات بما يلائم الأوضاع النفسية والحكمة الهادية والبلاغة العربية، أدق الملائمة[1].

وفي سورة الأعراف لا نجد تفصيلات هذه الملائمة، ولم يضع أيدينا على هذا التسلسل والتناسب بين الأغراض والآيات.

فربما عرض أحيانًا عددًا من المعاني دون أنْ يبين تسلسلها أو تناسبها مع ما قبلها أو بعدها، وأحيانًا يغفل عددًا من الآيات دون أن يعلق عليها، أو يلحقها بغرض، أو يفرد لها مقصدًا، وإن كانت أحيانًا من صلب المقاصد ولها تعلق باسم السورة، كآيات الحوار بين أهل الجنة والنار وبين رجال الأعراف، وكالآيات التي تحدثت عن الذي انسلخ من آيات الهدى إلى الغواية والضلال.

يقول مثلا عن الآيات من قوله تعالى : ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ...﴾ إلى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ 172 إلى 174 يقول: (بعد أن أوجز سيرة من مضوا من قبل مبينًا بذلك المراحل الإنسانية بأخطائها، حتى عاد على بني الإنسان جميعًا يذكرهم بأن الدعوة الإلهية قائمة بالفطرة، مغروسة في النفس، وأن تقليد الآباء والاستكبار والغرور مدعاة اجتناب الهدى وسبيل الهلاك[2].

ثم سكت عن الآيات من قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا...﴾ إلى قوله: ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ 175 إلى 183، دون أن يشير إليها، ثم قال مدمجًا الكلام دون فاصل بعد أن نوه في مناسبة سابقة: (وذكر دعوة الإسلام ورسولها خلال ما أورده، فرد على المشركين الذين جافوه وما افتروا به عليه، فرجع من التعميم بشأن الإنسانية إلى التخصيص بذكر العرب قائلا: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ...﴾، ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ...﴾، ليروا في هذه الحياة مكان الدعوة ومن هذا الخلق بنظامه ما يجب أن يعرفوه عن الله الذي أوحى بذلك ورجع إلى

---

(1) ينظر :أحمد الخطيب: نظرة العجلان في أغراض القرآن. ص: 35

(2) ينظر : المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي المركز الجامعي لميلة

تبيان سبب الإشراك بعد تقليد الأبناء لآبائهم إلى باعث الشرك في نفوس آبائهم من افتتان وذكر الأوثان وما يعبدون من دون الله مبينًا أنها ليست إلها للعبادة[1].

ثم سكت عن الآيات من قوله تعالى: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ...﴾ إلى ﴿...إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ 186 إلى 188 دون إشارة.

وقوله السابق: (ورجع إلى تبيان سبب الإشراك...) أخذه من الآيات: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ...﴾ إلى قوله: ﴿... وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ 189 إلى 198 دون أن يشير إلى ذلك أو يحدده.

وعرض سيد قطب في تفسيره السورة عرضًا تفصيليًا، قدّم له بمقدمة، ضمنها بعض خصائص السورة وسماتها بعامة، وقارنها ببعض خصائص أختها سورة الأنعام، وجعل لهما توحدًا في الموضوع والغرض، وإن جاءت هذه في ثوب والأخرى في ثوب آخر. فهو يرى أن سورة الأنعام تعالج العقيدة في ذاتها وحقيقتها، وسورة الأعراف تعالج العقيدة في مجال التاريخ البشري.

كما ضمن مقدمته بعض الخصائص والفروق التي في سور القرآن عمومًا، وذكر أن لها خصائص وسمات عامة تجمع بينها، وتقرب بعضها من بعض، تضم موضوعات شتى بعضها أشباه قريبة الملامح، وأخرى أغيار لا تجمعها إلا الملامح العامة.

ثم عرض للسورة موجزًا مركزًا لموضوعها وغرضها العام الذي سارت عليه من البدء إلى النهاية، بصورة مدمجة مسرودة دون تنصيص في نقاط مستقلة، وأخذ يبرز في شيء من التفصيل المواضع التي ركزت عليها واهتمت بها.

وألمح من خلال هذا العرض إلى أوجه الترابط والتتابع والتناسق في الموضوعات والقصص، مع التعليق على مقدمات ونهايات بعض منها.

وتتلخص الأغراض التي استنبطها في الآتي:

- قصة النشأة الأولى، والسياق يركز في هذه السورة على هذه النقطة. ومن ثم الإنذار والتحذير لبني آدم من هذا العدو العنيد، ثم التعقيب بتذكير بني آدم بنعمة الله في إنزال اللباس، ومواجهة من يطوفون بالبيت عراة ويتقربون به إلى الله.

---

(1) أحمد الخطيب: نظرة العجلان في أغراض القرآن. ص:35

- تصوير مشهد من مشاهد القيامة، وكان أكثرها تفصيلا، ولحفلها بالمناظر المتتابعة والحوار المتنوع.

- تقرير حقيقة الإلوهية والربوبية في مشاهد كونية تشهد هذه الحقيقة.

- ثم يعرض السياق قصة نوح وقصة هود وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب مع أقوامهم، وهم يعرضون عليهم حقيقة واحدة لا تتبدل.

- ثم يقف السياق وقفة للتعقيب يبين فيها سنة الله في تعامل الناس مع قدر الله حين يكذبون

ثم يعرض السياق قصة موسى مع فرعون وملئه، ومع قومه بني إسرائيل، وتستغرق القصة أكبر مساحة استغرقتها سورة قرآنية.

- ويمضي السياق بعد ذلك في تعقيبات متنوعة، يعرض في أحدها بعد مشهد العهد الفطري مباشرة مشهد الذي آتاه الله آياته ثم انسلخ منها.

- ثم يمضي السياق يتحدث عن بعض المؤثرات من المشاهد الكونية، ليتفكروا ويتدبروا في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته.

- ثم في ختام السورة يتجه السياق إلى خطاب رسول الله كما كان افتتاحها خطاباً له كيف يذكر ربه ويبقى موصولا به[1].

والملاحظ أنه لم يغفل ذكر آية واحدة دون إشارة أو تعليق، أو دون أن يربطها بأخوات لها شبيهات، بل اتبع جميع آيات السور بمجموع مقاصدها وأغراضها متسلسلة متتابعة مترابطة، وضمنها أوجه اتصالها بعضها ببعض.

وأوجه التناسب والتتابع التي يجر بعضها بعض فهو مثلا بعد ما انتهى إلى آيات آدم وحواء في الجنة وغواية إبليس اللعين لهما، وهبوطهما إلى الأرض، يذكر تعليقاً عليها اعتبرها به خاتمة الآيات كلها التي ابتدأت بها السورة، ويجعلها به في الوقت نفسه مقدمة ومناسبة للآيات التي تليه.

يقول: (وبهذا المشهد في نقطة الانطلاق يتحدد مصير الرحلة كلها، ومصائر المرتحلين جميعاً. وتلوح طلائع المعركة الكبرى التي لا تهدأ لحظة طوال الرحلة، بين هذا العدو

---

(1) ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن. ج:3 من ص 1247 إلى 1253 بتصرف

الجاهر بالعداوة، وبني آدم جميعًا كما تلوح نقط الضعف في الكائن الحي جملة ومنافذ الشيطان إليه فيها.

ومن ثم يتخذ السياق من هذا المشهد مناسبة للتعقيب الطويل بالإنذار والتحذير. تحذير بني آدم مما جرى لأبويهم من هذا العدو العنيد)[1].

ثم جاء بآيات النداءت: ﴿يَا بَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ...﴾، ثم هو مثلا في قصة موسى مع قومه يفصل أحداثها ومواقفها ويجعلها فصولا على حلقات يجعل الحلقة الأخيرة منها عندما دعا ربه في شأن من صعقوا من قومه، واستنزال رحمته سبحانه، ثم ذكر الآيات من قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ...﴾ 155 إلى قوله: ﴿...فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾157 فيربط هذه الآيات ويناسبها بالتي بعدها بقوله: (وفي ظل هذا النبأ الصادق من الله، والوعد السابق برسالة النبي الأمي، يأمر الله النبي أن يعلن طبيعة رسالته وحقيقة دعوته، وحقيقة ربه الذي أرسله، والأصل لاعتقادي الواحد الذي جاء به الرسل جميعًا من قبله ثم جاء بالآية: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا...﴾ إلى قوله: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ 158.

أما الطاهر بن عاشور فهو يرى أن للسورة الواحدة من القرآن رابطة تنظم موضوعها وأغراضها، وتفرعات هذه الموضوعات والأغراض، في انسجام وائتلاف دون أدنى تفكك يذهب جمالها وروعتها، يقول في مقدمة تفسيره: (ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة، تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله[2]:

وقبل تناوله السورة بالتفسير سرد أهم أغراض السورة ومقاصدها في صورة تعداد موجز مركز دون تعليقات ومن غير أن يلتقط بعض المناسبات والروابط التي يمكن أن تكون بين غرض وغرض، ومقصد وآخر، ومن غير أن ينسبها لمواضعها من الآيات، أو يورد آياتها التي استنبطها منها، وأحيانًا يغفل القليل من الآيات، وإن كان نادرًا دون أن يلحقه بغرض

---

(1) ينظر سيد قطب: في ظلال القرآن. ج:3 من ص 1247 إلى 1251

(2) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. دار سحنون، تونس، دط، دت، ج:1، ص:150

فهو مثلا ساق أحد المقاصد بقوله: (التذكير بالبعث وتقريب دليله)[1]. وأخذه من قوله تعالى: ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلَّا تَأوِيلَهُ...﴾ 53، ثم سكت عن معاني الآيتين بعدها من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴾ إلى ﴿...إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلمُعتَدِينَ﴾ 54-55، وذكر بعدها مباشرة الغرض الذي يليه دون إشارة لما تخطاه من الآية المشار إليها.

وأمر آخر مهم؛ هو أنه لم يشر إلى الآيات التي دارت في الحوار بين أهل الجنة والنار وأهل الأعراف، وهي مهمة ومن ركائز السورة الرئيسة، وإليها نسبت السورة، وسميت باسمها وقد أطالت في وصف وتفصيل تلك المحاورة التي دارت بين تلك الفئات، واكتفى بقوله عنها: وصف أهوال يوم الجزاء للمجرمين وكراماته للمتقين:

وتتلخص المقاصد والأغراض التي ذكرها في الآتي:

- النهي عن اتخاذ الشركاء من دون الله، ووصف ما حلّ بالمشركين من سوء العذاب في الدنيا والآخرة.

- تذكير الناس بنعمة خلق الأرض، وتمكين النوع الإنساني من خيرات الأرض، وبنعمة الله على هذا النوع بخلق أصله، وتفصيله، وما نشأ من عداوة جنس الشيطان لنوع الإنسان.

- وتحذير الناس من التلبس ببقايا مكر الشيطان، من أنْ يُسَوِّلَ لهم حرمان أنفسهم الطيبات، ومن الوقوع فيما يزج بهم في العذاب في الآخرة.

- ووصف أهوال يوم الجزاء، وكراماته للمتقين.

- والنهي عن الفساد في الأرض التي أصلحها الله لفائدة الإنسان.

- والتذكير بما أودع الله في فطرة الإنسان، من وقت تكوين أصله أن يقبلوا دعوة رسل الله.

- وأفاض في أحوال الرسل مع أقوامهم المشركين، وما لاقوه من عنادهم والأذى الذي لحقه، وأنذر بعدم الاغترار بإمهال الله الناس قبل أن ينزل بهم العذاب.

- ثم تخلص إلى موعظة المشركين، كيف بدلوا الحنيفة، وتقلدوا الشرك، وضرب لهم مثلاً بمن آتاه الله الآيات، فوسوس له الشيطان فانسلخ عن الهدى.

---

(1) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. دار سحنون، تونس، دط، دت، ج:1، ص:80

- ووصف حال أهل الضلالة، ووصف تكذيبهم بما جاء به الرسول، ووصف آلهتهم بما ينافي الإلهية، وأن لله الصفات الحسنى صفات الكمال.

- ثم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام والمسلمين بسعة الصدر، والمداومة على الدعوة، وحذرهم من مداخل الشيطان بمراقبة الله بذكره سرًا وجهرًا، والإقبال على عبادته[1]

وفي كتاب (الأساس في التفسير) تتبع سعيد حوى محاور سورة الأعراف، وتقسيمات أغراضها على حسب الأصل الذي اتبعه، وهو: (الوحدة القرآنية الشاملة) ردًا على شبهة؛ أن هذا القرآن لا يجمع آياته في السورة الواحدة جامع، ولا يجمع بين سوره رابط كما صرح بها كلود كاهين (في مقدمة تاريخه)[2]

وهذا الأصل قائم على اعتبار أن القرآن يتألف من أربعة أقسام: قسم الطوال، وقسم المئين، وقسم المثاني، وقسم المفصل، وبناءً على أن السبع الطوال تنتهي بانتهاء سورة (براءة)، وأن قسم المئين ينتهي بانتهاء سورة (القصص)، وأن قسم المثاني ينتهي بانتهاء سورة (ق)، وأن قسم المفصل ينتهي بانتهاء القرآن.

ورأى أن كلا من القسم الثاني والثالث والرابع، يتألف من مجموعات متعددة من السور كل مجموعة تشكل وحدة من قسمها، أما القسم الأول وهي السور السبع التي جاءت بعد البقرة، وهي التي تشكل مع البقرة القسم الأول من أقسام القرآن، هذه السور جاءت بعد سورة البقرة مباشرة على تسلسل معين، هو التسلسل نفسه الذي جاءت به المعاني في سورة البقرة وأن لكل سورة منها محورًا موجودًا في سورة البقرة.

أما سورة الأعراف، فقوله تعالى منها: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيكُم مِّن رَّبِّكُمۖ...﴾ 3 ما هو إلا تفصيل للمحور الخاص من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿... فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوفٌ عَلَيهِمۖ وَلَا هُمۖ يَحزَنُونَ﴾ 38 وهو يرى أن سورة الأعراف تتألف من مقدمة، ثم قصة آدم وبناء عليها، ثم قصص قوم نوح وعاد وثمود ولوط وشعيب ثم بناء عليها، ثم قصة موسى مع فرعون، ثم قصة بني إسرائيل.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المكتبة المركزية
المركز الجامعي لميلة

(1) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:8، ص:8-9

(2) ينظر: سعيد حوى: الأساس في التفسير .ج:1، ص:18-27

يقول: ومن تأمل هذه المعاني يجد باختصار أنها نماذج من الهدى الذي أنزل الله خلال العصور على أمم، وموقف هذه الأمم من الهدى، وما عوقبت به، وكل ذلك بمثابة درس لهذه الأمة، وهو تفصيل لمحور خاص وهو قوله تعالى: ﴿قُلنَا ٱهبِطُواْ مِنهَا جَمِيعاۖ فَإِمَّا يَأتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوفٌ عَلَيهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (38-39)

وكانت له نظرة خاصة في تقسيمات السورة ومقاطعها، إذ جعلها تتألف من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ويتألف من مقدمة ومقطع واحد.

القسم الثاني: ويتألف من أربعة مقاطع.

القسم الثالث: ويتألف من مقطعين.

أما المقدمة التي أدرجها تحت القسم الأول، فهي من قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيكَ ...﴾ إلى ﴿... بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظلِمُونَ﴾ (1-9)

أما المقطع الثاني فهو الذي يلي المقدمة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلأَرضِ...﴾ إلى ﴿وَٱلبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذنِ رَبِّهِۦۖ ...﴾ (10- 58) وفصله على ثلاث فقرات:

الفقرة الأولى: من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلأَرضِ...﴾ إلى ﴿قَالَ فِيهَا تَحيَونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنهَا تُخرَجُونَ﴾ (10-25)

الفقرة الثانية: فيها مجموعتان:

المجموعة الأولى: من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلنَا عَلَيكُمۡ لِبَاسا... ﴾ إلى قوله: ﴿...أُوْلَٰٓئِكَ أَصحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(26-36)

المجموعة الثانية: فيها أطول عرض لمشهد من مشاهد الآخرة، من قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظلَمُ مِمَّنِ ٱفتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا...﴾ إلى ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجحَدُونَ﴾ (37-51)

الفقرة الثالثة: من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلنَٰهُ عَلَىٰ عِلمٖ...﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذنِ رَبِّهِۦۖ...﴾ (52-58)

أما **القسم الثاني** فيحوي أربعة مقاطع هي:

المقطع الأول: قصص أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، وفيه تعقيب على قصص هؤلاء الأقوام، وعرض لبعض سنن الله في الأمم التي ينزل عليها وحيًا. ويمتد من الآية: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ...﴾ إلى ﴿وما وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ (59-102)

المقطع الثاني: قصة موسى مع فرعون، من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ...﴾ إلى ﴿... وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ (103-137)

المقطع الثالث: قصة موسى مع قومه، ويمتد من قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ...﴾ إلى ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾(138-159)

المقطع الرابع: في بني إسرائيل ما فعل الله لهم وبهم، ويمتد من قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ﴾إلى﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ...﴾ (160-171)

القسم الثالث:

تألف من مقطعين ومضمونهما في موضوع الربوبية والتوحيد، والشرك.

المقطع الأول: يبدأ من الآية: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ...﴾ إلى ﴿...إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (172-188)

المقطع الثاني: يبدأ من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ...﴾ إلى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩﴾ (189-206)

وللإمام البقاعي طريقته وفهمه الخاصين في تناول القرآن، دراسة وتفسيرًا وشرحًا. فالقرآن عنده بناء متكامل، منهجه قائم على العلاقات والمناسبات والتعانق والاتصال والالتفاف والانعطاف من أول آية إلى آخر آية، سواء أكان ذلك بين فاتحة المصحف وخاتمته، أم بين آية وآية، حتى إنه ليُرى أنه لا وقف تامًا في كتاب الله ولا على آخر سورة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة، التي هي أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد[1].

---

(1) ينظر: البقاعي: نظم الدرر. ج:1، ص:15

وهو ينظر كذلك إلى دلالات وخصوصيات الألفاظ والكلمات المفردة، ويوظفها في التآلف والتجانس والاعتناق بالمناسبات والعلاقات المجملة الأم، بل يمتد منهجه وتغور نظرته التناسبية التكاملية تلك إلى أنه يضع تناسباً واتصلا في معاني كل بسملة، في كل سورة، بما يوافق معاني وأغراض ومحتويات تلك السورة، وكأنها مقدمة للسورة، أو إضاءة كاشفة لها، وكأن القرآن كله سورة واحدة، والسورة قرآن كامل، والبسملة سورة كاملة .

يقول عن منهجه في استخلاص مقاصد السورة التي هي خيوط وروابط الاتصال والتناسب: (وقد ظهر لي أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام، ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها فَأَذْكُر المقصود من كل سورة وأطبق بينها وبين اسمها، وآخر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها)[1]

ولهذا حين نعمد إلى استخلاص المقاصد والأغراض المرسومة للسورة الواحدة، ونتلمس التشابك والتعاقد الممتد بين أجزائها ونحاول إرساله وتفكيك أطراف خيوطه الطويلة والقصيرة نجدها شبكة ممتدة ترسم خرائط وهياكل بناء كل سورة. فللسورة الواحدة عنده قاعدة عريضة تقوم عليها، وأركان وأعمدة تشد بناءها، لا تنفصل ولا تشذ عنها لبنائها المتراصة في أي موضوع فيها؛ فالآية والسورة في منهج البقاعي لا يأخذها جزءًا منفصلا مستقلا بأغراضه ومقاصده ومعانيه عن غيره، بل يجعلها تتحرك في معان وظلال وأضواء سور أخرى، لا تخرج عن مظلة القرآن كله. فالسورة تعتلق بسورة قبلها وسورة بعدها، تتعانق معها وتتلاحم وتترابط وتتلاحق معانيها كل بحسب النفس الذي تجري عليه، والظل الذي تسكن إليه، وإن كانت سبقتها ترتيباً ولم تسبقها نزولا، وكأن كل واحدة متولدة عن سابقتها، تنبت في أكنافها تعقبها أخرى تناديها تسكن جنبها، تشرب ماءها وتستظل بظلها. وهو يرى أن لسورة الأعراف مقصداً وغرضًا أساسيًا، هو امتداد لسورة الأنعام، يجعل منه قاعدة عريضة للسورة، يبني عليها معانيها. يقول عنه: مقصودها؛ إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد والاجتماع على الخير، والوفاء لما قام على وجوبه منه الدليل في

---

(1) البقاعي: نظم الدرر. ج:1، ص:17

الأنعام، وتحذيره بقوارع الدارين، وهذا أحسن مما كان ظهر لي وذكرته عند: ﴿وَٱلوَزنُ يَومَئِذٍ ٱلحَقُّۚ...﴾ وأدل ما فيها على هذا المقصد أمر الأعراف، فإنّ اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة والنار، والوقوف على حقيقة ما فيهما، وما أعد لأهلهما، الداعي إلى امتثال كل خير، واجتناب كل شر، والاتعاظ بكل مرقق[1]؛ وهو وإن لم يستقص تفرعاتها وتشعباتها إلا أنه اقتصر على ما له ارتباط ظاهر صريح، فجعله أعمدة وأركانًا لتلك القاعدة العريضة. فالآيات الأولى فصل في استنباط أغراضها والتفافها على المقصد الأول، لم يماثله ما تلاه من الآيات، لذا سأنقله بنصه وإن طال، يقول تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ١كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيكَ ...﴾ فأشار بنعمته بإنزال الكتاب الذي جعله هدى للمتقين، وأشار هنا إلى ما يحمله عليهمن التسلية وشرح الصدور، بما جرى من العجائب والقصص مع كونه هدى ونورًا. فقال: ﴿... فَلَا يَكُن فِي صَدرِكَ حَرَجٞ مِّنهُ...﴾؛ أي: إنه قد تضمن مما أحلناك عليه ما يرفع الحرج ويسلي النفوس، لتنذر به كما أنذر من قبلك ممن نقص خبره من الرسل، ولتستن في إنذارك ودعائك وصبرك سننهم وليتذكر المؤمنون، ثم أمر عباده بالاتباع لما أنزله فقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ فإن هلاك من نقص عليكم خبره من الأمم، إنما كان لعدم بالاتباع والركون إلى أوليائهم، من شياطين الجن والإنس، ثم أتبع ذلك بقصة آدم ليبين لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط الشيطان وكيده وأنه عدو لهم ﴿يَٰبَنِيٓ آدَمَ لَا يَفتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيطَٰنُ كَمَآ أَخرَجَ أَبَوَيكُم مِّنَ ٱلجَنَّةِ...﴾(27) وتصريح اللعين بالحسد، وتصور خيريته بخلقه، وطلبه الإنظار، والتسلط على ذرية آدم وحلفه له والإذن له في ذلك، ووعيده ووعيد متبعيه، ثم أخذه في الوسوسة إلى آدم ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ثم أنجرت الآية إلى (21) وأشار إشارات موجزة جدًا في باقي الأغراض، دون أن يفصلها مثل هذا التفصيل.

ووقفات الإمام البقاعي عند هذه الآيات الأولى ﴿الٓمٓصٓ ١كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيكَ فَلَا يَكُن فِي صَدرِكَ حَرَجٞ مِّنهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكرَىٰ لِلمُؤمِنِينَ ٢ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَولِيَآءَۗ قَلِيلا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ وقفاته عند هذه الآيات محللا ومفسرًا وشارحًا، مع التصريح بنصوصها، ينبيء عن استنباطه المباشر منها لغرض السورة الأول، وكأن آيات السورة الثلاث الأولى تسفر لتاليها من أول وهلة عن غايتها ومنتهاها، وكأن السورة تلقي

---

(1) البقاعي: نظم الدرر. ج:3، ص:3

بثقلها في مقدمة موجزة لقصة طويلة متناثرة الأجزاء، متقاربة المعاني والأحداث. ما عقب الآيات الأولى الثلاث وهي تتخطى إشارة البقاعي إلى قصة آدم قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ٤فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ٥فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ٧وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ وعبارته بقوله: (ثم أتبع ذلك بقصة آدم...) منبئة عن تعمد هذا التخطي، وكأنه يرى أن هذه الآيات السالفة الذكر ما هي إلا صوغ آخر، فيه تفصيل وتقديم لما يتلوه من قصص الإنذار المتلاحقة في السلسلة الطويلة التي بدأت حلقا تها الأولى مع آدم... [1]

ولربما لأنها الحلقة الأولى في تاريخ المعصية البشرية، وصراعها مع عدوها في طهر السماء، أعطاها بعض إجمال وإيجاز.

أما بقية القصص فإنه تخطاها كذلك فلم يذكرها، ولم يذكر أصحابها وأنبياءهم، وإنما اكتفى بقوله: (ثم انجرت الآي إلى ابتداء قصة نوح قصص بني اسرائيل متعمدًا كذلك هذا الانجرار، وكأ نها عنده متشا بهة لم يباينها .ويختلف عنها إلا قصص بني إسرائيل نوعًا وطو لا، مشا بهة القصة الأولى ، قصة آدم وما جرى من محنة إبليس)[2].

وختم البقاعي بآية من بعض ما ختمت به السورة القصص ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ وكأنها غرض خاتم خاص للنبي تسلية له بقصص إخوانه الأنبياء السابقين عليهم السلام، يعلمه المنهج المثالي الذي يستضيء به في معاملة قومه المكذبين تأسيًا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والعجيب أن الإمام البقاعي لم يذكر الآيات التي جاء فيها ذكر الأعراف: ﴿... وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ...﴾، ولم يصنفها ضمن الآيات التي استنبط لها أغراضها، ولم يقف كذلك عند آيات الخطاب التي بين أهل الجنة والنار عمومًا، ولم يدرج صور الترهيب التي تميزت

---

(1) البقاعي: نظم الدرر. ج:3، ص:6

(1) المرجع نفسه. الصفحة نفسها

ضمن أغراض السورة، رغم أنها في صلب موضوعها؛ الإنذار الذي اعتبره مقصدها الأم واكتفى بالإشارة إليه في مطلع السورة، وكذلك الآيات التي جاءت بعد القصص إلى ختام السورة لم يشر إليها، ولم ينظم معانيها في غرض يضمنها، إنما اكتفى بذكر آية ﴿خُذِ ٱلعَفوَ وَأۡمُرۡ بِٱلعُرفِ وَأَعرِضۡ عَنِ ٱلجَٰهِلِينَ﴾ في معرض مقارنتها بمثيلتها من سورة البقرة وربما كان هذا لانشغاله لتقرير رأيه؛ وهو تعلقها الكبير بسورة الأنعام وأنها تفصيل لها.

والأغراض التي ذكرها عمومًا لم يذكرها مجردة، إنما كان يسوقها أحيانًا في معرض مقارنتها بآيات من سورة البقرة، أو سورة الأنعام، أو سورة هود.

ويظهر أن اهتمامه بالمقارنات بين آيات السورة ومثيلاتها من السور الأخرى، وتتبعه الدقيق للمناسبات والروابط والمشكلات، أنساه إحصاء أغراض السورة بتفصيل أكبر، أو ربما كان منهجه في استنباط المقصد الرئيس للسورة، وتتبع مواضيعه، وظلال معانيه في الآيات كلها كان يكفيه، ويريده هذه الصورة دون تفصيل واستقصاء. ويتسع منهجه فنراه يربط معنى كل عدد من الآيات بالمقصد الأم الذي استنبطه، يصيره إليه، ويؤوله له، ويرجع به عنده وكأنها لَبِنَاتٌ تتراصُّ وتتلاصق لتحكم شد البناء، وربما اعتمد الاستدلال فيها على الفروق اللغوية الدقيقة بين الكلمات، ودلالاتها المعنوية.

فمثلا يقول عند قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱهبِطۡ مِنهَا﴾ وعبر بالهبوط الذي يلزم منه سقوط المنزلة دون الخروج؛ لأن مقصود هذه السورة الإنذار، وهو أدل عليه[1]، ويقول في قوله تعالى: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسمَآءٖ سَمَّيتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ...﴾ ولعله أتى بصيغة التنزيل لأن التفعيل يأتي بمعنى الفعل المجدد، وبمعنى الفعل بالتدريج، فقصد لأنه في سياق المجادلة، وفي سورة مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه هذا الكتاب النازل بالتدريج[2] ويقول عند قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتهُمُ ٱلرَّجفَةُ فَأَصبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ وحاصلة أنه حيث عبر بالرجفة وحد الدار، إشارة إلى شدة العذاب بعظيم الاضطراب، وحيث عبر بالصيحة جمع، إيماءً إلى عموم الموت بشدة الصوت، ولا مخالفة لأن عذابهم كان بكل منهما، ولعل إحداهما كانت سببًا للأخرى، ولعل المراد بالرجفة

---

(1) البقاعي: نظم الدرر. ج:3، ص:13

(2) المرجع نفسه. ص:5

اضطراب القلوب اضطراباً قطعها، أو أن الدار رجفت، فرجفت القلوب وهو أقرب، وخصت الأعراف بما ذكر فيها؛ لأن مقصودها إنذار المعرضين، والرجفة أعظم قرعًا لعدم الإلف لها[1].

واجتهد الإمام البقاعي في جمع السورة الواحدة على غرض واحد، يلملم أطرافها، ويربط تباعداتها، ويسيطر على موضوعاتها، من الصعوبة بمكان؛ لأن في القرآن الكريم قصصًا وأحكامًا وقضايا وتصورات وسننًا ومواعظ وآداب، يتعذر ضمها وجمعها ونظمها في غرض واحد، إلا على من اكتملت أدواته واتسع فهمه، لذا تجده أحيانًا يخرج عن هذه الوحدة إلى أغراض أخرى، يقول مثلا عند قوله تعالى: ﴿... وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُواْ يَفتَرُونَ﴾

أي: يتعمدون في الدنيا من الكذب في أمره لقصد العناد للرسل من ادعاء أن الأصنام تشفع لهم ومن غير ذلك من أكاذيبهم ... ولما كان مدار القرآن على تقرير الأصول الأربع: التوحيد والنبوة والمعاد والعلم، وطال الكلام في إخباره سبحانه عن أوامره ونواهيه وأفعاله بأوليائه وأعدائه الدالة على تمام القدرة والعلم، وختم بأن شركاءهم لا تغني عنهم، علل ذلك بأنه الرب لا غيره، في سياق دال على الوحدانية التي هي أعظم مقاصد السورة، كفيل بإظهار الحجج عليها، وعلى المقصد الثاني وهو الإعادة التي فرغ من تقرير أحوالها بالإبداء الذي تقرر في العقول أنه أشد من الإعادة –بأدلة متكفلة بتمام القدرة والعلم) قوله: (ولما كان مدار القرآن على الأصول الأربع، التوحيد والنبوة والمعاد والعلم)، لم يذكره أو يصرح به في بدء السورة، ولم يقل أنه ضمن مقصد السورة الأم الذي ألزم به نفسه، بل لم يشر إلى ذلك حتى في سورة الفاتحة التي هي أول سورة تناولها بالتفسير في القرآن، ومع ذلك لم يصرح فيها هذه العبارة السابقة، ولما كان مدار القرآن على تقرير الأصول الأربع: التوحيد والنبوة والمعاد والعلم[2]، وإن كان يربط بها معنى الآيات بين فينة وأخرى، ومعلوم أن هذا مقصد القرآن العام متفق عليه، ولعله أضمره في نفسه، وفاته شرحه وتوضيح مدى ظهوره في السورة، أو لعل ذلك يرجع إلى القرآن الكريم وإعجازه وغلبته العقول والأفهام، واتساع موضوعاته وآفاقه، وبعد مداركه وتشريعاته. لكنه على هذا منهج متميز فريد في تصور

---

(1) البقاعي: نظم الدرر. ج:3، ص:6

(2) المرجع نفسه. ص:40

علاقات السور هذا الوجه والربط بين السور على هذه الصورة، واستنباط مقاصدها وأغراضها وإدراك تناسبات أجزائها، لم يماثله فيه أحد فيما نعلم.

ومن بعد العرض السابق لتلك الكتب أقرر أموراً لابد منها، ليتضح بعدها طريقة الدراسة في السير لاستخلاص مقصد السورة الرئيس وأغراضها الأساسية، فأقول: سخاء المعاني القرآنية ووفرتها واتساع أطرافها وتناولها لموضوعات وقضايا وأحكام ومواعظ وقصص ومشاهد غيبية وأخرى كونية حاضرة، وتلون الإعجاز القرآني، وتشعب فنونه ووسائله في تكون واقتراب سورة من سورة، رغم بعدها عنها في الترتيب، والتصاق أخرى بثانية سبقتها نزولاً، أو افتراق مكانهما رغم تعاقبهما في التنزيل، هذا مع استقلال شخصية كل سورة عن أختها، وتفردها عنها في النظم والبناء من جهة، وامتداد بعضها من بعض من جهة أخرى مع المناسبات والروابط التي تلاحم بينها، ويسوق بعضها وراء بعض، هذا كله يجعل استخلاص مقاصد السورة من الصعوبة بمكان كبير.

إن الوحدة القرآنية في السورة الواحدة، وفي القرآن كله لا شك ولا خلاف في ظهورها ووجودها، لكن الخلاف في بيان حقيقتها وإدراك أبعادها، وأطراف هذه الأبعاد. ومحاولات استخلاص مقاصد وأغراض السورة الواحدة، يرمي في شباك هذه الوحدة، ويوقع في التفافها وانعطافها وانعقادات أطرافها، وما ترسله تلك الأطراف من بريق والتماع بين حين وحين يغري ويحير. فالبقاعي مثلا رأى أن سورة الأعراف رغم طولها امتداد لسورة الأنعام، وتفصيل لها، وصاغ غرضها الأول منها، وجعلها مرتبطة بها ارتباطًا كاملا، رغم أن الأعراف ليست بعدها في النزول، وما استخرجه لها من مقاصد كان يصيره ويعيده للغرض الرئيس الذي يؤول إلى سورة الأنعام، ولم يصرح بأغراض مستقلة خاصة من قلب سورة الأعراف تنفرد به عن الأنعام.

وأشار سيد قطب إلى الاشتراك والتشابه الذي بين سور القرآن في الخصائص والسمات والخصائص العامة، وتفرد كل سورة بعد ذلك واستقلالها بشخصيتها الخاصة التي تميزها وتختلف بها عن غيرها.

فقد جعل غرض سورة الأعراف هو العقيدة، وكله في مجال التاريخ البشري، وسابقتها سورة الأنعام كذلك غرضها العقيدة، ولكن من حيث هي وحقيقتها، واستل أغراضًا خاصة مفصلة شاملة من قلب السورة ذا بها، يظهر مدى استقلالها بشخصيتها الجديدة، وتفردها

بها، في تسلسل وتناسق مصقول، وعمق احتواء بارع، تفرد به عمن سواه ممن عرضت منهاجهم ولم تتعد طرائقهم التعداد المجمل، على تفاوت بينهم في العمق والإحاطة والشمول.

أما سعيد حوى فإن أصله الذي استخرجه، وأثبت له الوحدة الشاملة للقرآن تغري بالبحث والنظر، والوقوف على حيثياتها وتحققاتها[1].

ورؤيته لسورة الأعراف من خلال تلك النظرية على أنها محور تفصيلي لأحد محاور سورة البقرة وامتداد لها، وتقسيمها وفق تقسيمات ومقاطع عديدة حسب نظرة جديدة، وتأمل خاص، له اعتبار من حيث إنه يدخل باب الأحاديث النبوية التي تلفت إلى خصائص بعض سور القرآن، وما لها من أسرار في ارتباطها بالقرآن كله، وما انفردت به في اشتمالها على ما لم تشتمل عليه سور أخرى، من مثل: الفاتحة وسورة البقرة، وآل عمران والإخلاص فالأحاديث الواردة فيها لا شك تشير إلى خصوصيات لهذه السور من حيث علاقتها بوحدة القرآن وكليته[2].

ولو أردنا أن نوسع دائرة الظلال التي يرسلها اسم السورة على معانيها وما اشتملت عليه ورجعنا إلى معنى الاسم اللغوي، وحاولنا تتبع دلالته اللفظية، وشققنا عن أصولها، ونرى ما يمكن أن نقتبسه منها، ونوشح به ما جاء في السورة نقول:

ما أورده الإمام الطبري عن معنى الأعراف فإنها جمع وواحدها عرف وإنما قيل لعرف الديك عرف؛ لارتفاعه على ما سواه من جسده. ومن ذلك أن الأمم المكذبة والقصص الواردة في السورة قد ارتفعت على من سواها، وعرفت بين الناس بسوء أعمالها وتكذيبها الله ورسله وكان أولئك الأقوام أعرافاً في تاريخ البشر بالانتكاس والارتكاس بأسمائهم وبلدا تهم وآثارهم وأنبيائهم، ذكر تهم الآيات ليحذر الناس كفرهم وسوء فعالهم، وليحذروا أعراف العذاب التي أحاطت بهم وأهلكتهم. وقد بينت لهم رسلهم الطريق القويم، ودعتهم إلى الارتفاع عن خساسات الأخلاق ودناءتها، وعرفتهم بالملأ الأعلى وعبودية الواحد الأحد. ونظروا إلى طريق الجنات، وعرفوا أهلها الأتباع المؤمنين، ونظروا إلى طريق الجحيم، وعرفوا أهله المستكبرين، فكانوا على أعراف الإنذار والبلاغ ينظرون، وقد أيقنوا الإيمان والكفر. ولتتعلم

---

(1) البقاعي: نظم الدرر. ج:3، ص:17

(2) المرجع نفسه. ص:3

محبة وتعظيما من أولئك الأنبياء والرسل وأتباعهم المؤمنين، وجدهم ومصابراتهم ومكابداتهم وثباتهم الطويل، رغم صنوف التهديد والتخويف من أقوامهم. ثم يأخذها الهول والفزع من مصارع المكذبين، وصور العذاب وصنوفه وألوانه التي حلّت بهم، وآثاره الباقية على مر السنين. يعرف هذا كله ليقبل من يقبل، ويدبر من يدبر. وليعرف كفار قريش هذا كله، وليكنْ صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنون ودينهم وأخلاقهم أعرافًا لهم ولغيرهم إلى قيام الساعة. وليعرفوا المصير يوم القيامة إما إلى جنة وإما إلى نار، وإما بينهما على سور الأعراف.

تظهر وسائل الإمساك ببدايات أطراف الخيوط الموصلة لأغراض ومقاصد السورة، ولسور القرآن عامة وهي:

1- الوقوف الطويل عند مقدمات السور وفواتحها، والاستماع المتأمل لما تطل به وتلقيه وملاحظة نظمها، وما يمكن أن يكون فيه من تقديم وتأخير، وأول وآخر...

2- النظر العميق في الاسم الذي تحمله السورة وتتوج به نفسها، وما يمكن أن يظله هذا الاسم من ظلال على معاني السورة ومحتوياتها، ومدى تشبعها ظاهراً وباطناً، بدلالات هذا الاسم.

3- محاولة تتبع المتشابهات اللفظية في كلمات السورة المفردة مع غيرها، المترادفة من السور الأخرى وبحث دلالاتها المعنوية وتصاريفها، وأسباب ورودها واستعمالاتها في سورة وأخرى، ورصد التشابهات الدلالية والمعنوية المرتبطة بالأغراض ومقاصد السور المختبئة خلفها، ومحاولة استلال الغرض الخاص بكل سورة منها، والبحث عن الزيادات والإضافات التي تخفيها كل سورة جديدة.

4- ملاحظة المشابهات التي بين السور والآيات كآيات القصص والآيات المتشابهة والغرض الذي تأتي له في كل سورة وسورة، والزيادات الدلالية في هذه أو تلك، والدواعي التي وراء الأغراض والمقاصد لإتيان السورة هذه القصة أو تلك، وهذه الآية أو تلك.

- **المبحث الثاني؛ البناء البلاغي للقصص:**

- **قصة نوح مع قومه:** يبدأ هذا القسم بإرسال نوح إلى قومه، ودعوته إياهم إلى عبادة الله وحده ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ وتحذيره إياهم من عقوبة الإعراض، ثم ترتب على هذه الدعوة موقف قومه منه باتها مهم له بالضلال ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ ثم ترتب على ذلك دفاع نوح عن نفسه بنفي الضلالة، وإثبات رسالته لنفسه، وغايته منها: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ثم لما لم تكن إجابة بعد التوضيح والدفاع ترتب على هذا الإعراض والإصرار نزول العذاب بهم بالإغراق وإنجاء نوح والمؤمنين الذين اتبعوه ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾.

هذا هو تسلسل المعنى في هذا القسم وهذا بناؤه، ونعود الآن إلى توضيح وإضاءة بعض جوانب بنائه البلاغي. أما الجزئية الأولى من المعنى، فقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ ونلاحظ أن قوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ جاء مجردًا من أدوات العطف لأنهم أول أمة على وجه الأرض، وعندهم قوة أعظم من قوى غيرهم من الأمم[1] ولأنه لم يتقدم ذكر رسول قبله فيعطف عليه. وأتى بحرف الواو في سورتي (هود) و(المؤمنون) لأن ذكر نوح جاء صريحًا في سورة هود ، وجاء ضمنًا في (المؤمنون)[2].

وافتتحت قصته كذلك بحرف لإثبات المتوقع. وهو (لقد)؛ لأن السامع متشوف إلى قسم محذوف لا ينطق غالبًا إلا بها أو لأنها تساق لتأكيد الجملة المقسم عليها التي هي مظنة توقع عند المخاطب. وقال: ﴿إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ لأنه أرسل إليهم وهم أمة واحدة لم تختلف لغتها[3].

ثم دلت الفاء في قوله: ﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ﴾ على أن رسالته أول رسالة جاءت عقب إرساله[4] ولأن الفاء هي الأصل، ولم تذكر في القصتين التاليتين اكتفاء بالربط وفي قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ إلا ثلاثة أمور:

---

(1) ينظر: الكرماني: البرهان في متشابه القرآن. ص:187

(2) ينظر: المرجع نفسه. ص 74

(3) ينظر: الرازي: التفسير الكبير. ج: 14، ص: 471

(4) ينظر: الزركشي: البحر المحيط ج 4 ص 320

الأول: أمرهم بعبادة الله، وعلله بقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ فهو المستحق للعبادة وحده تعالى، وهو تأكيد للكلام الأول، ثم علل مرة أخرى لكلامه بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ (التعليل الأول لبيان الداعي إليها، والثاني لبيان الصارف عنها)[1] (والعذاب العظيم إما يوم القيامة أو عذاب الطوفان)[2]، وأطلقه ليعم العذابين، ونكّر (عظيم) للتهويل والتفظيع.

وقال في سورة (المؤمنون) ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، رغم أن القصة واحدة : وتفسير الألفاظ فيه تفنن للكلام وتغير للأسلوب لإيقاع الوعظ في قلوبهم[3].

وتفرع عنه موقف قومه منه فجاء، واكتمل هذا المعنى وهو دعوته قومه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ متولداً عن المعنى الأول، (وكأنه قيل: فماذا كان جوابهم؟)[4] فأتى الجواب: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾، فهو استئناف بياني.

وهنا عبر عن قومه بصفة الملأ دون وصف الكفر لأن المؤمنين قليل مستضعفون والكافرون هم الأكثر، وهم العلية الأشراف[5]

ونلاحظ في قولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ كثرة أدوات التوكيد؛ النون المؤكدة واللام، واسمية الجملة، ووصف حالة ضلالة بالظرف (في) للمبالغة في إحاطة الضلال به وانغماسه فيه، وتقيد الضلال كذلك بـ(مبين)، وإيثار فعل الرؤية (نراك) بدلا من غيره، وكأنه أصبح شيئًا محسوسًا مرئيًا، وقد دل على عظم الافتراء والبهتان[6]، وشدة المعاندة والتكذيب.

وبعد جواب الكافرين على نوح بهذا الافتراء جاءت الآيات إلى موقفه منهم، ومحاولته دفع تهمتهم الباطلة المفتراة ، فجاء قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مبنيًا على اتهامهم.

---

(1) تفسير أبي السعود ج 2 ص 502

(2) التفسير الكبير ج 14 ص 148

(3) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل ص 83

(4) نظم الدرر ج 3 ص 48

(5) ينظر نظم الدرر ج 3 ص 48

(6) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير ج:9، ص:18

وقد نفى به الضلال عن نفسه على أبلغ وجه فإن التاء للمرة ... فيرجع حاصل المعنى ليس بي أقل قليل من الضلال فضلا عن الضلال المبين[1].

ثم استدرك ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلعَٰلَمِينَ﴾ وهو تأكيد للمعنى السابق وزيادة عليه، إذ نفى الضلال وأثبت ضده؛ الهداية بالرسالة على أقصى ما يمكن كما نفى الضلالة لذلك[2]

ونلاحظ أن ربط رسالته برب العالمين لترقيق قلوبهم ، وليشعرها بنعمة الله عليهم بإرساله إليهم ، وهي عائدة على ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأتِيَنَّكُم رُسُلٌ مِّنكُم يَقُصُّونَ عَلَيكُم ءَايَٰتِي﴾.

ثم جاء قوله : ﴿أُبَلِّغُكُم رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُم﴾ وفيه بين لهم (المقصود من الرسالة أمران: الأول تبليغ الرسالة، والثاني: تقرير النصيحة، والأول يتعلق بالأحكام والتكاليف من أوامر ونواه، وفي جمع الرسالة: يدل على أنه تعالى حمله أنواعًا كثيرة من الرسالة والثاني: معناه أن أبلغ إليكم تكاليف الله، ثم أرشدكم إلى الأصوب الأصلح وكذلك وأحب إليكم ما أحبه لنفسي)، وفيه دلالة على أمانته وعزيمته نلاحظ أمانته وعزيمته في الفعلين المضارعين (أبلغكم/أنصح لكم) لدلالة التجدد والحدوث التي يفيدها التعبير بالفعل المضارع

ورد الضلال عن نفسه بقوله: ﴿وَأَعلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعلَمُونَ﴾، وبين وأفاد أن عنده علومًا لا يعلمونها بغير رسالته، فضلا عن أن يكون ضالا[3]

هذه الآية: ﴿أُبَلِّغُكُم رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ لها اتصال بقوله تعالى في مطلع السورة: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيكُم مِّن رَّبِّكُم﴾.

ثم استأنف كلامه بقوله: ﴿أَوَعَجِبتُم أَن جَآءَكُم ذِكرٌ مِّن رَّبِّكُم عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُم﴾ واستفهامه هنا إنكاري[4] توبيخي أي: لا ينبغي أن يكون، والواو فيه للعطف والمعطوف عليه محذوف، كأنه قيل: أكذبتم وعجبتم أن جاءكم؟)[5]

وقوله: ﴿ذِكرٌ مِّن رَّبِّكُم﴾ أي: مترل على رجل، وقوله: ﴿مِّنكُم﴾ أي: تعرفون نسبه فهو منكم؛ فالأمران لا عجب فيهما، لأن إرادة الله وقدرته اقتضت هذا.

---

(1) روح المعاني ج 8 ص 150 – 151

(2) ينظر التفسير الكبير ج 14 ص 153

(3) ينظر نظم الدرر ج 3 ص 49

(4) التفسير الكبير ج 14 ص 152

(5) ينظر أبي السعود ج 2 ص 503

ونلاحظ أن تكرير كلمة ﴿ رَبِّكُمۡ ﴾ مرة أخرى ليلفتهم في كل مرة إلى نعم ر بكم عليهم والكلمة مسجوعة مع كلمة ﴿مِّن﴾ ومع كلمة ﴿ لِيُنذِرَكُمۡ ﴾ الآتية لزيادة لفت أسماعهم وعقولهم.

ثم استأنف علة إرساله ليزيل تعجبهم وإنكارهم فقالك ﴿ لِيُنذِرَكُمۡ ﴾ ثم ﴿ وَلِتَتَّقُواْ﴾ وهي مترتبة على العلة الأولى، وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ علة ثالثة مترتبة على الثانية وكل علة جاءت غاية ومقصوداً للتي قبلها، يقول الألوسي: (وهذا الترتيب في غاية الحسن، فإن المقصود من البعثة الإنذار ، والمقصود من الإنذار التقوى عن كل ما ينبغي، والمقصود من التقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة)، وعبر بحرف الترجي لأنه مطلب عزيز، وأمره بيد الله الرحيم[1].

وتم معنى الآية؛ وهو محاورة نوح ورده على اتهامهم إياه بالضلال وصبره على إقناعهم والتوضيح لهم، وانتقلت الآيات إلى معنى جديد مترتب على الأول، وهو موقف قومه وعاقبتهم، وهو قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ﴾.

- **قصة هود مع قومه:**

ثم انتقلت الآيات إلى قصة هود مع قومه عاد، وهي حلقة جديدة ملتحمة في سلسلة القصص المضروبة لمثل ﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ﴾.

وتسلسل المعنى في هذا القسم مشابه للقسم الأول في قصة نوح مع قومه ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ثم ترتب على كلامه جواب قومه الكافرين با اتهامهم له بالسفه والكذب ﴿قال قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، ثم ترتب عليه رده عليهم بنفي السفاهة عن نفسه وإثبات رسالته ونصحه وأمانته ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، وتحذيره لهم من عاقبة قوم نوح وتذكيره إياهم بنعم الله عليهم﴿... وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ...﴾ ثم ترتب على نصحه وتذكيره لهم ، تحديهم واستعجالهم العذاب

---

(1) ينظر: الألوسي: روح المعاني. ج: 8 ، ص: 152

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وبني على ذلك التحدي نزول العذاب بهم، وقطع دابرهم بالاستئصال ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ﴾.

وبعد متابعة تسلسل المعاني في هذا القسم نرجع إلى تبين جوانب من بنائه البلاغي

والمعنى الأول قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

وعاد هم؛ قوم كانوا باليمن بالأحقاف، والأحقاف: الرمل الذي بين عمان إلى حضرموت. ومن مطلع الآية نلاحظ ما في التقديم ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ من تخصيص رسالة هود بقومه عاد وأما نبي الله نوح في بعثه إلى جميع أهل الأرض وهو أمر اتفاقي، ولذا قال عنه: ﴿لقد أرسلنا﴾.

وعطفت رسالة هود على رسالته، وقال لقومه مثل مقولته: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وفي وحدة الألفاظ وحدة الرسالة بالوحدانية، لكن زيدت الفاء في قول نوح ﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ﴾، في حين جاء قول هود من دونها؛ لأن نوحًا كان لا يتأخر عن الإجابة على مقالا تهم وشبهاتهم، ويرد عليها، مباشرة وكذلك اختلفت صورة الإنذار عند النبيين عليهما السلام؛ فعند هود ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وعند نوح ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾، والفرق بين الصورتين؛ أن عذاب قوم نوح بالإغراق بالطوفان لم يحدث مثله في العالم قبل حذر من ذلك العذاب قومه: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ولذا جاء في صورة استفهام إنكاري لعدم اعتبارهم واتعاظهم، وتمت هذه الجزئية من المعنى هذا العرض الموجز لدعوة هود لقومه، ثم نتجت عنها جزئية أخرى مرتبة عليها وهي رد قومه بعد سؤال : فماذا كان جواب قومه له؟ فجاء الجواب: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[1].

وهناقيد الملأ بـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ حتى لا يعم الوصف الأشراف ممن آمن لهود ، ثم نلاحظ اختلاف التهمة التي وجهت لنبي الله هود: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في حين قيل لنوح ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، لأنه كان مشتغلا بصنع

---

(1) ينظر: الرازي: التفسير الكبير. ج:14، ص:155-156

السفينة إذ لم يكن بحر ولا ماء، فكان صنعه لها عندهم ضلال مبين في حين هود زيف عبادة الأوثان ونسب إلى السفاهة وقلة العقل فقابلوه بمثله ونسبوه إلى السفاهة.

وتزاحمت أدوات التوكيد هنا كما تزاحمت في مقولة قوم نوح (إن) و(اللام) واسمية الجملة وجعلوه مظروفًا للسفاهة وخفة العقل، وهذا من شناعة تكذيبهم فإنه رغم أنه أخوهم وصاحبهم ومن قومهم إلا أ نهم رموه هذه التهمة بكل هذه المؤكدات، بل استأنفوا تهمة أشد من الأولى وهي الكذب ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، أي: المتعمدين للكذب، لأنه كان عندهم علم من الرسل، وما يأتي مخالفهم من العذاب من قصة نوح[3].

وعن معنى هذا الا تهام المتطاول على هود تولد معنى آخر؛ وهو رده المؤدب النزيه على تلك الفرية المركبة حيث قال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ وهذا على مثل رد نوح ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ إذ نفى أن يكون به شيء من خفة حلم فانتفى أن يكون كاذبًا؛ لأن الداعي إلى الكذب الخفة وا لطيش، فلم يحتج إلى تخصيصه بنفي[4].

(ولما نفى السفاهة، أثبت ما يلزم ضدها)[5]، فأضاف لنفسه غاية الشرف والأدب بإثبات الرسالة فضلا عن أقل نقائص الكذب والسفاهة: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وهو الصوت نفسه الذي ردده نوح وتعوّد قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

لكن يلاحظ أن كلام الله عز وجل على لسان نبيه في صياغة كلامه ووصفه نفسه بالنصح والأمانة يختلف عن الصياغة التي ساقها نوح عن نفسه، وقد وصف نفسه بالجملة الاسمية ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ وفيها معنى الثبات والتصميم فقد جاء بالجملة الفعلية الذي لا يتزعزع بها عن التبليغ والدعوة، وأما في وصف نوح ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ وهنا تظهر روح المصابرة والمكابدة عند أولي العزم من الرسل عليهم السلام، ﴿ ليلا ونهارًا﴾ ﴿ثم إني دعوتكم جهارًا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارًا﴾، إذ التكرار المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة، مع الجهد والمكابدة، دون ملل أو كلل[1].

---

(3) ينظر: البقاعي: نظم الدرر. ج:3، ص: 52

(4) البقاعي: نظم الدرر. ج:3، ص: 52

(5) ينظر: الرازي: التفسير الكبير . ج: 14 ص: 156-157

(1) ينظر المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

وزاد هود صفة الأمانة ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ وقد قيل في ذلك: ليرد عليهم مقولتهم فيه بالكذب، وهي زائدة على تهمة نوح وإنما جاء قوله: ﴿وَأَعلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعلَمُونَ﴾ وفي هذا علو شأن نوح وعلو رتبته في النبوة عن هود عليهما، ثم جرى في كلامه لهم من كلام نوح عليهما السلام[1].

ثم جرى في كلامه لهم من كلام نوح عليهما السلام: ﴿أَوَعَجِبتُم أَن جَآءَكُم ذِكر مِّن رَّبِّكُم عَلَىٰ رَجُل مِّنكُم لِيُنذِرَكُم﴾ إلا أنه حذف منه: ﴿وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ لأنه عرف في القصة الأولى ولا حاجة إلى إعادة ذكره، ولما كان التقدير: فاحذروا، عطف عليه تذكيرهم بالنعمة) في: ﴿...وَٱذكُرُوٓاْ إِذ جَعَلَكُم خُلَفَآءَ مِن بَعدِ قَومِ نُوح وَزَادَكُم فِي ٱلخَلقِ بَصطَةً فَٱذكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾.

وهنا نلاحظ أن هودًا نحا منحى الترغيب والتعطف على قومه، وذكرهم بنعم الله عليه: ﴿وَٱذكُرُوٓاْ إِذ جَعَلَكُم خُلَفَآءَ مِن بَعدِ قَومِ نُوح﴾ ذكرهم الاستخلاف، أي: الإيجاد خلفًا لقوم نوح العام ﴿وَٱذكُرُوٓاْ﴾، وفي هذا التذكير تعريض لهم بعاقبة قوم نوح وتعذيبهم بالغرق.

ثم اتبعه التذكير بالزيادة فقال: ﴿ وَزَادَكُم فِي ٱلخَلقِ بَصطَةً﴾ (أي: في الحس بطول الأبدان، والمعنى بقوة الأركان، قيل: كان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعًا)[2][3]

ولما تكاثرت نعمهم وفضلوا بها على غيرهم ذكرهم مرة أخرى بسبب تلك الزيادات فقال: ﴿فَٱذكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾.

فكان التذكير الثاني متسببًا عن التذكير الأول، ليؤكده لهم به ويلفتهم إليه باللفظ نفسه ﴿فَٱذكُرُوٓاْ﴾.

وبانتهاء كلام هود لقومه ودفاعه عن نفسه، وتوضيحه أمر الرسالة مرهبًا ومرغبًا تشوفت النفوس إلى جواب الكافرين وردهم على كلام نبيهم الحق المبين في قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئتَنَا لِنَعبُدَ ٱللَّهَ وَحدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وفي جوابهم مقارعة الحق بالباطل بالاستفهام الإنكاري: ﴿أَجِئتَنَا لِنَعبُدَ ٱللَّهَ وَحدَهُۥ﴾ ونتنصل عن البرهان الساطع إلى المجادلة بالدعاوى الكاذبة، لمحض التقليد[3].

---

(2) البقاعي" نظم الدرر. ج:3، ص: 53-54

(2) المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

(3) ينظر: الزركشي: البحر المحيط. ج: 4، ص: 32

﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ ثم صياغتهم كل هذا في صورة الإنكار والتوبيخ زيادة في العنت والخصومة بالباطل، وقولهم ﴿مَا كَانَ يَعبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ صاغوه بـ﴿كَانَ﴾ والفعل المضارع ﴿يَعبُدُ﴾ ليفيدوا مواظبتهم على عبادتها من قديم، ولتكون حجتهم في تسويقهم لأنفسهم عبادتها[1] ثم ساقهم توبيخه لهم ليتذكروا ويذعنوا بقوله ساقهم إلى كبر وعناد وخيم إذ قال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى توبيخ لجوج لمقامه الأمين قالوا: ﴿فَأتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وهنا إصرار منهم على اتهامه بالكذب الأول: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلكَٰذِبِينَ﴾ إذ لم يجد دفاعه ورده الواضح المبين عن نفسه معهم.

ثم من خصومةِ الكافرينَ نبيَّهم ومكابرتِهم عن الإذعان والإيمان، تفرعت الآيات من استكبارهم وطلبهم نزول العذاب، وقد تشوفت[1] تتساءل إلى موقف نبيهم عنه، فجاء الجواب: ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسمَآءٖ سَمَّيتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلمُنتَظِرِينَ﴾.

ويلاحظ هنا أن هذه الآية من أصل قوله تعالى في مقدمة السورة: ﴿وَكَم مِّن قَريَةٍ أَهلَكنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾.

إذ معنى قوله: ﴿أَهلَكنَٰهَا﴾؛ أردنا إهلاكها، وكذلك قوله: ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجسٞ وَغَضَبٌۖ﴾ الذي أخبر الله عنه بأنه وقع لا يجوز أن يكون هو في ذلك العذاب، لأن العذاب ما كان حاصلا في ذلك الوقت ... لكنه قريبُ الوقوع[2].

وعبر بالماضي ليدل على تحقق وقوعه، وأكده بحرف الاستعلاء ﴿عَلَيكُم﴾ وفي تقدم الظرف ﴿عَلَيكُم﴾ لتعجيل الغضب والعذاب بهم[3].

ثم قدم قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ وأخبر عنه ﴿رِجسٞ وَغَضَبٌۖ﴾ ليذكرهم أنهم قابلوا نعم ربهم المحسن إليهم بالكفر والنكران، وللتخويف من المؤخر ﴿رِجسٞ وَغَضَبٌۖ﴾، وفسر ابن

---

(1) ينظر: البقاعي: المرجع السابق. ص: 54

(1) البقاعي: نظم الدرر. ج: 3، ص:55

(2) ينظر: الألوسي: روح المعاني. ج: 8، ص:158

عباس الرجس باللعنة، والغضب بالعذاب[1]. وفي تنكير ﴿ رِجس ﴾ و﴿وَغَضَبٌ﴾ ويل وترويع وتخويف، ثم بين لهم السبب في صورة الإنكار ليقيم الحجة عليهم[2]

ولكي يرد الأمر لله الإله الحق رغماً عنهم نفى عنه سبحانه الأمر بعبادتها فقال: ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلطَٰنٍ﴾، وأفادت (من) الاستغراق في النفي، (والفاء للترتيب على ما تقدم)[3].

ولما فرغت الآيات من تعنيفه قومه وملامته لهم بعد تحقق العذاب لهم، جاء معنى آخر منتظر مترقب مهد له قوله: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلمُنتَظِرِينَ﴾ وهو قوله: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَٰتِنَا﴾ وَمَا كَانُواْ مُؤمِنِينَ﴾.

وفي انتظاره معهم ثم رؤيتهم نجاته والمؤمنين معه زيادة في التحسر والتحزين لهم، لذا قدم الخبر عنه وعن من معه من المؤمنين في الاتباع والنجاة، ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحمَةٖ مِّنَّا﴾ (والفاء في ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ فصيحة، أي: فوقع ما وقع فأنجيناه[4].

ثم فخمت نجاتهم برحمة لدنيه، وفخمت مرة أخرى وجللت بقوله: ﴿مِّنَّا﴾ ثم جاء خبر المكذبين ﴿وَقَطَعنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَٰتِنَا﴾ وهو كناية عن الاستئصال، وهو كما في الآية الأخرى ﴿فَهَل تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ (الحاقة 8)

ثم في تأكيد تكذيبهم بقوله : ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤمِنِينَ﴾ أنهم لن يؤمنوا حتى لو لم يهلكوا[5]

وانتهى هذا القسم من السورة بهلاك قوم عاد ونهاية قصتهم وعبرتهم التي هي من أمثلة ﴿والذي خبث لا يخرج إلا نكداً﴾ و﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ و﴿وَكَم مِّن قَريَةٍ أَهلَكنَاهَا فَجَآءَهَا بَأسُنَا﴾.

وهو الحديث نفسه عن قوم عاد بالإرسال إليهم أولا و﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗا﴾ وبنفي الإيمان عنهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤمِنِينَ﴾ وظهر التفاف الخاتمة على المطلع واعتلاقهما.

---

(1) الألوسي: روح المعاني. ج:8، ص: 159

(2) ينظر: البقاعي: المرجع السابق. ج:3، ص: 325

(3) الرازي: التفسير الكبير. ج: 14 ص:159

(4) الألوسي: المرجع السابق. ص: 159

(5) المرجع نفسه. ص 160

- **قصة لوط مع قومه:**

يمثل الجزء الذي ذكر قصة لوط عليه السلام مع قومه أصغر أقسام السورة، فآياته خمس، اختلف نمط عرضها ومعانيها عن أخواتها في السورة، فهي لم تتحدث عن رسالة لوط، وإرساله ولا عن دعوته توحيد عبادة الله ونبذ الشرك، كما في دعوة الأنبياء عليهم السلام في القصص السابقة واللاحقة في السورة، إنما انفردت بتعنيفه المباشر لهم على رذائلهم الشنيعة في ارتكابهم الفواحش المنكرة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، ولعل تفردهم بالسوء والمنكر سبب في تفرد قصتهم في العرض والسياق فقد بدأت بقول لوط المباشر لهم بالإنكار والتوبيخ لإتيانهم الفاحشة المنكرة؛ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَومِهِۦٓ أَتَأتُونَ ٱلفَٰحِشَةَ...﴾، ثم ترتب على هذا الإنكار والتعنيف جواب قومه بالتطاول عليه بإخراجه وقومه، والسخرية بهم، لطهارتهم وتقواهم ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَومِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخرِجُوهُم مِّن قَريَتِكُم ۖ إِنَّهُم أُنَاس يَتَطَهَّرُونَ...﴾.

ثم ترتب عن تلك السخرية والاعتداء على نبي الله والمؤمنين تعذيبهم بإرسال حجارة من السماء عليهم أهلكتهم عن آخرهم وجعل لوط عليه السلام ومن آمن معه بمنجاة من ذلك كله ﴿فَأَنجَينَٰهُ وَأَهلَهُۥٓ إِلَّا ٱمرَأَتَهُۥ كَانَت مِنَ ٱلغَٰبِرِينَ٨٣ وَأَمطَرنَا عَلَيهِم مَّطَرا فَٱنظُر كَيفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلمُجرِمِينَ﴾.

وبعد تتابع تشعبات المعنى في هذا القسم، يتبع بإضاءات في بنائه البلاغي.

الجزء الأول من المعنى قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذ قَالَ لِقَومِهِۦٓ أَتَأتُونَ ٱلفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِن أَحَد مِّنَ ٱلعَٰلَمِينَ٨٠ إِنَّكُم لَتَأتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَل أَنتُم قَوم مُّسرِفُونَ﴾.

وقد اختلف أسلوب العرض لهذه القصة كما أسلفنا في باقي قصص السورة، فقصة نوح بدأت بقوله تعالى: ﴿لَقَد أَرسَلنَا نُوحًا﴾، وعطفت القصص بعدها عليها بقوله: ﴿وإلى...﴾ و﴿وإلى...﴾، أما قصة لوط فقد اختلف مطلعها عن باقي أخواتها بقوله: ﴿وَلُوطًا إِذ قَالَ﴾ وفي اختلاف المطلع دلالة على اختلاف المقصد، فإن لأهل هذه القصة خصوصية ذواتها عن غيرها لفتت الآيات إليها باختلاف مطلعها ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِن أَحَد مِّنَ ٱلعَٰلَمِينَ﴾

حتى أنه لم يذكر لهم اسما وتعريفا كما لغيرهم من الأقوام، وذكر الإمام البقاعي أن هذا صيانة للآيات عن ذكر اسمهم[1]

يقول البقاعي: (وقصص من عدا قوم لوط مشابهة لقصة قريش في الشرك بالله والأذى لعباده المؤمنين وأما قصة لوط فزائدة تهويلا للأمر وتبشيعًا له[2]

وقدر المفسرون محذوفًا في الآية هو (اذكر) أو (أرسلنا)، ويرجح البقاعي الفعل (اذكر)؛ لتكون أليق بمقصد التسلية لسيد الصابرين محمد[1]، فتكون الآية: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ﴾ من عطف القصة على القصة[3].

وقوله: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ إنكاري توبيخي، وقد استأنف توبيخه بقوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ و(من) الأولى هنا زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض)[3] وأل للعهد أي: المعروفة فحشها في الطبائع والعقول، أو للجنس، كأنها جعلت الفواحش جميعها[4] وهذا بخلاف الزنى فقد قال فيه: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا...﴾ (الإسراء 32)[4] والفاحشة : هي الفعل الدنيء والذميم[5] ووجه تسمية هذه الرذيلة فاحشة وإسرافا؛ لأنها خروج عن الفطرة وعن النوع بالطريق المشروع وعمل قوم لوط خروج عن المشروع بقضاء الشهوة بطريق غير ما خلق له لقضاء الشهوة يقطع به التناسل الذي يكون بين الذكر والأنثى.

وتفسيرات القرآن للفاحشة كتفسيرها بالخبائث في سورة الأنبياء: ﴿... وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۗ...﴾ ثم استأنف مرة أخرى الإخبار: لَتَأْتُونَ الرجالَ[6] فقال: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ﴾ فلا داعي لكم إليه إلا مجرد الشهوة وقضاؤها، وهو وصف البهائم، ومن غير التفات إلى بشاعتها وسماجتها[7]

---

(1) ينظر: البقاعي: نظم الدرر. ج:3، ص:62

(2) علي البيضاوي: حاشية الشهاب. ج: 4، ص:314-317

(3) الزمخشري: الكشاف. ج:2، ص:125

(4) ينظر: الزركشي: البحر المحيط. ج:4، ص: 333

(5) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير . ج: 9، ص: 230-232

(6) ينظر: الزمخشري: المرجع السابق. ص:125

(7) ينظر: البقاعي: المرجع السابق. ص: 63

وفي ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ معنى أنهم لم يسابقوا إلى الخيرات وإنما سابقوا وسبقوا في المنكرات وفتحوا بابا من أبواب السوء كان مغلقًا فإذا كان للناس سبق في الخير سبق هؤلاء في أبغض الأخلاق عند الله وعند الناس، وأنهم سنوا منه سنة سيئة وأكده بـ(أن) و(اللام) لتصوير إصرارهم عليه وانصرافهم إليه كما هو وصف البهائم.

وفي التأكيد إشارة إلى أنه فعل من شأن النفوس أن تنكره لغرابته وشناعته ولأنهم أول من جاء به، وفي الكلام تفصيل بعد إجمال وبيان بعد إبهام ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ﴾ ثم بينها بأنها كذلك بأسلوب مؤكد، وفي هذا إشارة كله مزيد عناية ببيان شناعتها

ومعنى قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾، في موضع الحال أي: منفردين عن النساء، وفيه زيادة تبيين وتحديد وتأكيد صورة الشذوذ والانحراف الذي انحرفوا به في إبراز قبائحهم ومذماتهم بزيادتهم معنى قصة عن الطبيعة الآدمية، ثم استدرك عليهم بأنهم أكثروا في الانحراف وأسروفوا فيه فقال: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ يقول البقاعي: (وقد خرج بقوله ﴿بَلْ﴾ من قصة إلى قصة أخرى من خلائقهم التي جاوزوا فيها حدودهم، وقيل إنه أضرب عن توبيخهم إلى التصريح بحالتهم التي تنشأ عنها شهواتهم هذه المنحرفة وهي الإسراف[1].

وجاء وصفهم ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ باسم الفاعل ليدل على موافقتها لهم وثبوتها فيهم[2]، وفيه إشارة إلى شناعة الإسراف؛ لأنه ذكر وصفا وعلة لهذه الشنعاء.

وكأن هذا الجزء من معنى هذا الخلق الذميم مرتبط بأصل من أصول الوصايا الإلهية الربانية في مقدمة السورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ وقوله قبلها: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾، وقوله في خاتمة الآيات ما قبل القصص: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾.

ونلاحظ طول مقالة لوط في توبيخهم، وتتابع كلامه بعضه إثر بعض في تعنيفهم على فاحشتهم المنكرة، ما يدل على حنقه الشديد عليهم، وذهوله وحيرته منهم كيف يأتيهم في مخاطبتهم علهم يشعرون بشناعة ما يفعلونه.

---

(1) البقاعي: نظم الدرر. ج:3، ص:62

(2) ينظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

وبعد نهاية معنى من تعنيفه قومه عليه السلام بما أتوا به من المنكر، تولد معنى ثانياً عن موقف قومه وجوا بهم له بعد ذلك الخطاب الصريح والمواجهة بالإنذار النبوي الأمين، وقد حصل تطلع إلى سماع جوا بهم له بعدما نصحوا بنصيحته لهم، واستبان خزيهم وعارهم له وللناس، فهل استحيوا وذلوا واستجابوا؟[1] جاءت الآية بالجواب: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾؛ أي ما جاءوا بما يكون جواباً عن كلامه، والقصد منه نفي الجواب على أبلغ وجه[2]؛ ومعناه: إنهم تركوا الرد عليه، بالتصميم على ما هم عليه وعدم الإقلاع عما نهاهم عنه، وأرادوا الاستراحة من نهيه وإنكاره. وفيه أنهم يكرهون التطهر وأهل الطهر[3]

وفي جوابهم من القباحة ما هو أشد من فباحتهم الأولى بالفواحش إذ لم يستحيوا بل تطاولوا على النبي النصيح، بل تجاوزا إجابته بالإعراض في حديثهم عنه إلى محادثة بعضهم البعض بطلب طرده وإخراجه من بينهم وقومه، وكأنه الجاني الآثم بعلة هي أشد في انحراف فطرهم وعمى بصائرهم إذ قالوا: ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾، وتكراره وتجدد حدوثه منهم بالفعل المضارع، وقد أكدوه بإن والاسمية، وهو ما يعرف في علم البيان بالتعريض، بما يوهم الذم[4]

ويلمح في جوابهم بلوغ في الشذوذ لا يطيقون معه وجود الأطهار بينهم، وربما عبر بضمير الغيبة عنهم لخروج ذلك الضيق على ألسنتهم بعدم التصريح بهم.

وجواب لوط بالمذمة لهم ولأتباعه لتطهرهم وتقواهم، وطردهم من بينهم، تشعب عنه معنى آخر متسبب عن إجرامهم وفحشهم في أخلاقهم وجوا بهم لنبيهم[5]، يقول تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

---

(1) ينظر: البقاعي: نظم الدرر. ج: 3 ص: 63

(2) علي البيضاوي: حاشية الشهاب. ج: 4، ص: 315

(3) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:9، ص: 235

(4) ينظر: الزركشي: البحر المحيط. ج:4، ص:335

(5) ينظر: البقاعي: المرجع السابق. ج:3، ص:64

- **قصة شعيب مع قومه:**

قصة هذا القسم ذات طول يخالف غيرها للمحاورات والمراجعات التي راجع بها صاحبها شعيب قومه، فطالت بها قصته وقد بدأت بأمره إياهم بعبادة الله وحده للبيّنات التي أيده الله بها ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ ثم أتبع أمره إياهم بإيفاء الموازين ونهيهم عن بخس الناس أشياءهم وعن الفساد في الأرض فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾، ثم أتبع كذلك بنهيه إياهم ما يفسد أمور الآخرة، من القعود على الطرقات لتخويف الناس وصدهم عن سبيل الله، وبغي الاعوجاج في دين الله وشرعه: ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا) ثم ختم تذكيره ووعظه بتفويض أمرهم إلى الله لعدم إيما نهم وتوجهه إليه سبحانه للحكم بينه وبينهم ﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾ ثم تفرع عن هذه المخاطبة والمحاورة الطويلة البليغة رد قومه عليه وعلى خطابه وقد كان فعلا دون الكلام لأنه لم يبق لهم حجة ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودّن في ملتنا﴾ ثم تولد عن تهديدهم بالإخراج أو العود إلى ملتهم مرة أخرى جواب صادق في غاية البلاغة والإيجاز، وكان كالتقديم لتفصيل مسهب، يبين عن الإيمان والإصرار عليه الذي لا يردهم عنه شيء ﴿قال أَوَ لَوْ كنّا كارهين﴾ ثم ترتب على ذاك الثبات المؤمن إن اتبعوا نبيهم، جواب قومه بالعنت والكفر والأيمان برمي المؤمنين بالخسارة وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون، فترتب على ذلك الكفر والمكابرة نزول العذاب بهم، والتعليق على عاقبتهم ﴿فأخذ تهم الرجفة﴾.

ثم انتقلت الآيات إلى الحديث عن النبي الخطيب الرحيم، وقد تأسف عليهم وهو يحاور نفسه ويخاطبها بصرفها عن التحسّر عليهم ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي﴾.

أما صور البناء البلاغي ففي الجزء الأول من معناها قوله تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مَا لَكُم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن

كنتم مؤمنين﴾ وقوله: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ أي: وأرسلنا إليهم، إشارة إلى عطفه. وفي (أخاهم شعيبا) ما يكون أدعى لاستجابتهم لأنه أخوهم ومن بينهم، و﴿قال يا قوم﴾ ليعيد منطق النبي شعيب صلوات الله وسلامه عليه لأن من كلامهم بلفظه ما لا يكون في إعادة معناه، وكأننا نسمع كلامه صلوات الله وسلامه عليه ليحضرهم وينبههم ويوقظهم، لأن كلمة: ﴿اعبدوا الله﴾ هي أصل دعوة النبيين وتتلقاها القلوب بيقظة وفهم، وقوله: ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾ قدم النداء على الأمر ليكون أبلغ وأكد، وكأنه يناديهم وقوله: ﴿مالكم من إله غيره﴾ توكيد لأمره ﴿اعبدوا الله﴾ مع بيان العلة والسبب ثم رتب على مجيئه بالبينة الأمر بقوله: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾؛ أي: ابذلوا ما تعطون وافيا.

ويرى الطاهر بن عاشور أن الأمر في: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ لحفظ حقوق المشتري وأن النهي في ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ لحفظ حقوق البائع، وبهذا يظهر أن المعنى مختلف بين الآيتين، وليس ذلك النهي جارياً مجرى العلة للأمر أو التأكيد لمضمونه كما فسر به بعض المفسرين الذي تدل عليه آية النهي هو عموم البخس في أشياء الناس كلها أيا ما كانت في بيع وشراء أو غيره كما جاء في التفاسير[1].

ومهد هذا للنهي عن مضاعفات ونتيجة وعاقبة الاعتداء بالبخس في أشياء الناس فقال: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾، وترك البخس الإفساد في طلب المال خير كبير فالناس إذا علموا الوفاء والصدق والأمانة رغبوا في المعاملات معكم، يقول تعالى: ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ ولم ينته هذا المعنى بنهاية الآية وإنما استدعى نهيهم عما يفسدونه من أمور الدين، بل هو مما يعم الصالحين إذ هو الداعي إلى الإصلاح الأول من أمور الدنيا، فجاءت الآية الثانية تابعة ومتصلة بالمعنى السابق: ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون و تصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ آيات خطاب شعيب فاتحة على الأمر والنهي فيها أربعة أوامر: ﴿اعبدوا الله﴾، ﴿فأوفوا الكيل﴾، ﴿واذكروا إذ كنتم قليلا﴾ ﴿وانظروا﴾ وثلاثة نواه: ﴿لا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، ﴿ولا تفسدوا﴾، ﴿ولا تقعدوا﴾.

---

(1) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:9، ص: 235

وفي قوله: ﴿وتصدون عن سبيل الله﴾ توكيد لقوله: ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾ وتخصيص الصد عن سبيل الله لأنه داع للإصلاح صاد عن الإفساد والتعبير بالمضارع: (تقعدوا، تعبدون، تبغونها) فيه دلالة على الترصد والملازمة لهذه الأفعال.

ومعنى قوله: ﴿وتبغونها عوجا﴾؛ أي تطلبون اعوجاجها بإلقاء الشبهات والشكوك وكأن الاعوجاج نتيجة للفعلين: (توعدون وتصدون)، ثم ذكرهم بنعمة الله عليهم ليرغبهم في طاعته والانقياد له فقال: ﴿واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم﴾ إذ تزوج مدين بن إبراهيم من ابنة لوط فولدت حتى كثر عددهم. ثم خوفهم مرة أخرى فقال: ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾

وقوله: ﴿الذين استكبروا من قومه﴾ مبني ومهيأ لمقالتهم وهي: (لنخرجنك)، لأن هذا هو كلام أهل الغطرسة والكبرياء وتخييرهم له بين الإخراج أو العود في ملتهم باب آخر من باب الاستكبار، لأنهم لا يقبلون في قريتهم من هو خارج عن ملتهم ومناداته باسمه مجردًا: (يا شعيب)، ونتأمل إفرادهم له بالخطاب وأنه الرأس: (لنخرجنك) ما يصور غاية الغيظ من محاوراته ومراجعاته ومن معه من المؤمنين الأتباع، ولذا قالوا عنهم: ﴿والذين آمنوا معك﴾ ثم قولهم: ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ من باب تغليب الجماعة. ثم جاء الرد: ﴿قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم﴾[1]

ثم يذكر النبي قومه: ﴿ إ ن ربكم الله﴾ ثم علل لتعليقه الأمر بمشيئة الله ربه فقال: ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾ فهو الذي له العلم الكامل بعواقب الأمور وخواتم الأعمال وهل كتب علينا العود إلى ملتكم، ثم فوض أمره وأمرهم إلى من بيده الحول والقوة، وكأن الخوف من خواتم الأعمال مقلق لقلوب المؤمنين الصادقين فكأنهم سألوا: ما العمل وأين المفر؟ فقال: ﴿على الله توكلنا﴾ وأظهر لفظ الجلالة لإحضاره في قلوبهم، لإتمام التوكل عليه ثم كان تفويض الأمر إلى الله مذكر بدعائه سبحانه واللجوء إليه. ثم ختم دعاءه بقوله: ﴿وأنت خير الفاتحين﴾، وكرر هذا الاحتكام إلى الله بعد إعلانه لهم في أول دعوته لهم في قوله: ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾.

وانتهى هذا الجزء من المعنى بصمود المؤمنين عليهم الرضوان وخطابة نبيهم قومه بالثبات والتوجه إلى الله في القضاء في أمرهم. وترقب مقالتهم أمام هذه المفاتحة من الله

---

(1) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:9، ص: 236

العليم وانتقلت الآيات إلى قومه سبحانه فقال عاطفاً على قولهم الأول: ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون﴾؛ فهي آخر محاولاتهم لصدهم عن شعيب ودعوته، وقد ظهر حرصهم على صدهم بتوكيدهم المشروط وأجاب القسم بما سد عن جواب الشرط بقولهم: ﴿إنكم إذا لخاسرون﴾ وعلقوا الخسارة التامة مؤكدة بـ(اللام) باتباعهم شعيبا قصور جوابهم عن برهان أو دليل يقنع العقول، لخلوهم منه وانقطاعهم عنه وهم أمام فلجؤوا إلى الأيمان المؤكدة بدلا عنه في عبارة قصيرة مربوطة بشرط فصيح وجواب، وبكفر القوم واستكبارهم على الرسول واتباعه، وبذلهم الأيمان لصرفهم عنه، تم المعنى. ثم تفرعت الآيات إلى معنى جديد متوقع ومترقب مبني على هذا الكفر والاستكبار فجاء قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ أي: ميتين لازمين لأماكنهم لا حراك لهم ثم استأنفت الآية في الحديث عنهم بعد وقوع العذاب بهم ﴿الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها﴾ وشبه حالة استئصالهم بمن لم تكن له حياة ثم استأنف مرة أخرى لبيان ابتلائهم، فقال: ﴿الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين﴾، وهنا تكرر وصفهم بالتكذيب بالموصول، لأن تكذيب الصادقين في غاية الشناعة وأرجع الخسارة عليهم بتوكيد ضمير الفصل وتعريف الطرفين وقصر الخسارة عليهم، لأن خسارتهم مؤبدة في الدنيا والآخرة. (1)

وانتهى هنا المعنى بذكر عاقبة القوم الخاسرين ثم انتقلت الآيات إلى معنى آخر عند نبي الله شعيب بعد نزول العذاب عليهم يقول تعالى: ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾ وهو استفهام إنكاري خاطب به نفسه وأظهر وصفهم بالكفر تعزيةً لنفسه والمؤمنين معه لأنه لم يكن يرضى لهم ما حلّ بهم.

---

(1) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:9، ص: 237

الخاتمة

• الخاتمة:

القصة القرآنية كانت مدخلا للرسالة والدعوة إلى عقول وقلوب الناس وهي تحمل ما تريد من آراء ومعتقدات. والقصة القرآنية من الوسائل التي اعتمدها القرآن في تبليغ الرسالة الإسلامية، غير أن القصص القرآني نهج وحده في موضوعه وأسلوب أدائه وفي مقاصده وغاياته، فمن حيث الموضوع فهو نسيج خالص من الصدق المطلق والحقيقة لا يختلط به وهم أو خيال، ومن ناحية الأسلوب الرائع الممزوج فيه الإعجاز بالروعة والصدق في الأداء ووجهة النظر الواحة والقصص القرآني معافى من الزيف، لأن مقصده وغايته الدعوة إلى الحق والهداية إلى مواقع الخير وإقامة وجه الإنسانية على مسالك الحق والخير.

ورغم أن القصة القرآنية تتوافر فيها كل الخصائص الفنية لبناء القصة العادية إلا أنها تبقى لها سماتها وخصائصها وميزاتها، فهي عمل فني مستقل في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، ويبقى هدف الأول والأخير هو الهدف القرآني ذاته.

قائمة المصادر والمراجع

• قائمة المصادر والمراجع:

❖ **القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.**

1- **الألوسي** أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي- لبنان.

2- **البخاري**، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم وسننه وأيامه، تحقيق الشيخ محمد علي قطب، المكتبة المصرية، 1415 هـ.

3- **البيضاوي** أبو سعيد ناصر الدين عبد الله، تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي. 1997م

4- **الجرجاني** عبد القاهر، أسرار البلاغة، تعليق أبو فهد محمود محمد شاكر دار المدين بجدة، الطبعة الأولى.

5- **الجرجاني** عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، تعليق أبو فهد محمود شاكر. مكتبة الغانمي - القاهرة، ط2، 1989.

6- **حوى** سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام القاهرة، تحقيق: أحمد صقة دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة.

7- أبو **حيان** محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، (1408 -1910).

8- **الخفاجي** القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد عماد، حديث شهاب المسماة عناية القاضي و كفاية الراضي على تفسير البيضاوي.

9- **خلف** الله محمد أحمد: مذكرة دكتوراه، تحليل: خليل عبد الكريم، كلية الآداب جامعة الملك فؤاد القاهرة، (1947-1948)

10-**الرازي** الفخر، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3.

11- ابن **عاشور** محمد الطاهر:ال تحرير والتنوير، دار سحنون التونسية للنشر.

12-أبو **السعود** محمد بن محمد الحنفي، تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى ضراب الكتاب الكريم، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمان، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 1999م

13-**سناء** عباس فضل، إيجاز القرآن الكريم، ط1، (د،ت)

14-**السيوطي** جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، عالم الكتب- لبنان، ط2، 1987م.

15-**الصابوني**، إعجاز البيان في أغراض القرآن. دار الفكر، بيروت

16-**ضيف** شوقي ، في النقد الأدبي ، دار الفكر، بيروت، ط1. د ت.

17-**الطبري** أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الفكر بيروت. 1988م

18-**عشراتي** سليمان، الخطاب القرآني (مقاربة توصيفية لجمالية السر الإعجازي) ديوان مطبوعات الجامعية الجزائر ط 1، 1988.

19-**القزويني** الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، لبنان ط1، 1910.

20-**قطب** سيد، ظلال القرآن، دار العلم للطباعة و النشر بجدة، طبعة 12 1986م.

21- **الهاشمي** أحمد ، جواهر الآداب ج2، دار الفكر- بيروت، د ق.

الفهرس

• فهرس الموضوعات:

التبويب	الموضوع	الصفحة
– –	دعاء. شكر وتقدير. وإهداء	– –
مقدمة	• مقدمة.	أ–ج
الفصل الأول	• مفهوم القصة القرآنية	8-1
المبحث الأول	– مفهوم القصة	3
المبحث الثاني	– البنية القصصية في القرآن الكريم	5
المبحث الثالث	– المعاني والقيم في الفن القصصي	6
الفصل الثاني	• البناء البغي للقصص في سورة الأنعام	45-9
المبحث الأول	– التكوين البلاغي لسورة الأعراف	11
المبحث الثاني	– البناء البلاغي للقصص في سورة الأعراف	29
الخاتمة	• خاتمة البحث.	47-46
المصادر والمراجع	• قائمة المصادر والمراجع.	48-46
الفهرس	• فهرس الموضوعات.	50-49